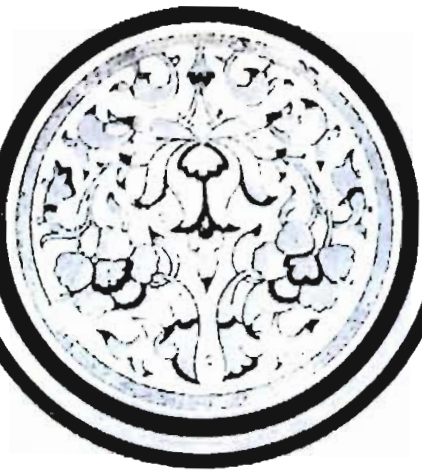

محمود شلبي

صيام رسول الله

دار المعرفة

صيام رسول الله

تحقيق

محمود شلبي

دار المعرفة

للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

الإهداء

إلى كل نفس صائمة . . . أهدى ذلك الكتاب

المؤلف

مقدمة

بسم الله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فقد جاء هذا الكتاب فى حينه .. فى شهر رمضان .. حيث يتخصص المؤمنون لله .. ويتفرغون لاتباع رسول الله .

ألهمنى الله سبحانه أن أجعله بعنوان « صيام رسول الله » ليكون الكتاب فى حدود عنوانه .

فهو سجل شامل كامل ، لحياته صلى الله عليه وسلم خلال شهر رمضان ، نهاره وليله ، قيامه ونومه ، فطره وصومه .

يطالعك بالكيفية التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يستقبل بها الشهر الكريم ، ثم الأسلوب الذى كان يحيا عليه صاحب الشريعة خلال الشهر ، ثم الطريقة التى كان يختتم بها صومه فى ليالى القدر ، ثم كيف كان يقضى أيام العيد ولياليه .

ثم تجد فيه تاريخ فريضة الصوم ، وأحكامه ، وما يتفرع عليها من أسئلة ومشكلات .

ثم هو بعد هذا كله يمضى معك فى يسر ، ويدخل إلى قلبك بإذن الله فى رفق .

ذلك أنه إشعاعات من نور النبوة ، وروح من كتاب الله الكريم

فإذا ما تم لك قراءته ثم فقهه ، ثم وفقك الله إلى اتباعه صلى الله عليه وسلم فى صومه وفطره ، عشت سعيداً بصومك ، راجياً من الله أن يتقبله منك قبولا حسناً .

محمود شلبى

ماذا قبل فرض رمضان ؟

عن عائشة رضى الله عنها قالت «كان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه» (أخرجه البخارى) .

لم يكن الله تبارك وتعالى قد منّ على النبى صلى الله عليه وسلم بنزول فريضة الصوم ، عندما قدم إلى المدينة .

وإنما كان المسلمون فى بحبوحة من ذلك ، وكانوا جميعاً ينتظرون القول الفصل من السماء .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ، قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ماهذا ؟ قالوا هذا يوم صالح . هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه » (أخرجه البخارى) .

وكذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم قبل فرض رمضان ، اليوم العاشر من المحرم ، لأنه يوم نجى الله تعالى فيه بنى إسرائيل وأغرق عدوهم فرعون فى البحر . يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل .

فلما أن فرض الله عليه رمضان ، ترك عليه الصلاة والسلام الخيار لأصحابه ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه ، بعد أن كان يحثهم عليه ويدفعهم إليه دفعاً .

التمهيد لاستقبال رمضان

كان صلى الله عليه وسلم يمهد لاستقبال رمضان تمهيداً جميلا ، فيكثر من الصيام فى شعبان ، حتى إذا جاءه رمضان وجده على استعداد طبيعى للمضى فى الصيام .

وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم تعظيما لرمضان ، وإكراماً للشهر الكريم .

عن عائشة رضى الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه فى شعبان» (أخرجه البخارى) .

وتعنى أم المؤمنين رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ينتهى صومه إلى غاية . نقول إنه لا يفطر ، فينتهى إفطاره إلى غاية حتى نقول إنه لا يصوم . وذلك لأن الأعمال التى يتطوع بها ليست منوطة بأوقات معلومة ، وإنما هى على قدر الإرادة لها والنشاط فيها .

وهكذا كان من عادته صلى الله عليه وسلم الاكثار من الصيام فى شعبان .

عن عائشة أنها قالت «ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر أكثر صياماً منه فى شعبان كان يصومه إلا قليلا» (أخرجه الترمذى) .

الله يفرض الصوم

قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة ١٨٣) .

نزلت فريضة رمضان في شعبان من السنة الثانية من الهجرة ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات ، باعتبار أنه لحق بالرفيق الأعلى فى السنة العاشرة من الهجرة .

« يا أيها الذين آمنوا » يامن صدقتم بالله وبالرسول .

« كتب عليكم » فرض عليكم .

« الصيام » الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وما هو ملحق به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

« كما كتب على الذين من قبلكم » كما فرض على اليهود والنصارى من قبلكم . لقد فرض على من قبلنا من الأمم الصيام ، وإنما جعل الله لكل أمة ماينا سبها من الصيام ، فالتشبيه فى أصل الوجوب لا فى قدر الواجب .

« لعلكم تتقون » لعلكم بالصوم تتقون المعاصى ، ففيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان .

* * *

جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثائر الرأس ، فقال يارسول الله : أخبرنى ماذا فرض الله على من الصلاة ؟ فقال : الصلوات الخمس إلا أن تطوع

شيئاً . فقال : أخبرنى مافرض الله علىّ من الصيام ؟ . فقال : شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً . فقال : أخبرنى بما فرض الله على من الزكاة ؟ فقال : فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام . قال : والذى أكرمك لا أتطوع شيئاً ، ولا أنقص مما فرض الله علىّ شيئاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق . (أخرجه البخارى) .

وهكذا قرر صلى الله عليه وسلم فرضية صوم شهر رمضان ، كما قرر القرآن فرضيته .

تطور فريضة الصوم

قال تعالى « أياماً معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » (البقرة ١٨٤) .

ليس من شك أن رحمة الله بالمؤمنين تقتضى التدرج بهم حتى يألفوا صيام شهر بأكمله . لقد كانوا يصومون عاشوراء ، يوماً واحداً ، أما الآن ، فقد أوجب الله عليهم صيام شهر كامل ، فليتدرج بهم شيئاً فشيئاً .

« أياماً معدودات » الصيام المفروض عليكم هو أيام معدودة ، يسهل عدها ، محدودة يسهل تحديدها .

« فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » فرض الله الصوم لتنكسر النفس وتشعر بالحاجة إلى الله . أما المسافر وأما المريض فهما فى حالة انكسار طبيعى ، لأن المسافر غريب والغربة عذاب ، والمريض ضعيف . فهؤلاء لهم أن يفطروا ولهم ألا يصوموا ، لأن المسافر يستهلك ما فى جوفه من طعام بحكم التنقل ، فاذا صام ضعف جسمه . وكذلك المريض فإنه قد لا يحتمل الامتناع عن الطعام مما يعرض جسمه للهلاك .

فمن كان به مرض فعدة من أيام أخر ، أى فله أن يفطر على أن يصوم عدد الأيام التى أفطرها فى رمضان من أيام أخر بعد رمضان .

ومن كان على سفر فله أن يفطر أيام سفره من رمضان على أن يصوم عددها بعد رمضان .

ومسألة الإفطار فى حالة المرض وفى حالة السفر مسألة ترجع إلى الصائم نفسه فإن شاء صام وإن شاء أفطر .

عن أنس بن مالك قال : كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم . (أخرجه البخارى) .

وعن عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن حمزة بن عمر الأسلمى قال للنبي صلى الله عليه وسلم « أأصوم فى السفر ؟ — وكان كثير الصيام — فقال : إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » (أخرجه البخارى) .

هذه هى روح الشريعة السمحة البيضاء ، فإن كنت مريضاً أو مسافراً فى رمضان فلك أن تصوم ولك أن تفطر ، فإن أخذت بالفطر فعليك أن تصوم مكان كل يوم أفطرته يوما آخر بعد رمضان . وتجوز لك أن تقضى بالتتابع أو بالتفريق لقوله « من أيام أخر » ولم يحدد سبحانه ذلك رحمة بنا .

« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

عن ابن أبى ليلى قال «حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نزل رمضان فشق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكيناً ترك الصوم ممن يطيقه ورخص لهم فى ذلك فنسختها وأن تصوموا خير لكم فأمروا بالصوم » (أخرجه البخارى) .

يبين لنا هذا الحديث تطور فريضة الصوم فى أول نزولها ، ومدى رحمة الله بالناس فيما أنزل إليهم من أحكام .

لم يكن الناس قد تعودوا أن يصوموا شهراً كاملا ، ثم جاء القرآن وفرض عليهم صوم شهر رمضان ، فكان من الطبيعى أن يشق عليهم ذلك ، فكان أن أباح الله لمن شاء منهم أن يفطر نظير إطعام مسكين واحد ، فكان من شاء منهم الإفطار أفطر ولا يجد فى ذلك حرجا ، على أن يطعم مسكيناً .

فلما تعود القوم الصيام نسخ الله أى أبطل ذلك الحكم بقوله سبحانه فى الآية التى بعد هذه « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

فصار ذلك فرضا إلى يوم القيامة .

« فمن تطوع خيراً فهو خير له » فمن تطوع وفعل خيراً ، وصام رغم جواز إفطاره نظير الفدية ، فهو أى فالصيام خير له لما فيه من المنافع الروحية والصحية للصائم . وكذلك من تطوع وفعل خيراً بأن زاد على القدر المفروض فى الفدية كأن يطعم أكثر من مسكين واحداً فهو خير له لما فى ذلك من عظيم الأجر عند الله .

« وأن تصوموا خير لكم » ولذلك يختم الآية بالحث على الصيام عموما ، والنهى عن الكسل عنه ، وعن الركون الى الفدية ، ذلك أن الذى يطعم مسكينا ولا يصوم ، ليس كمن صام وتحمل مشقة الصيام فتهذبت بذلك نفسه وسمت روحه. وهذا تمهيد لإيجاب الصوم بعد ذلك عليهم ، كيلا يشق عليهم إذا لم يجدوا أمامهم إلا الصيام .

« إن كنتم تعلمون » إن كنتم من أهل العلم لأدركتم ما فى الصوم من خير لكم ولاستبقتم اليه .

وهكذا دخل القرآن الى قلوبهم لطيفا وأنبأهم أن الصيام أيام معدودات .

ثم يسر عليهم وقال لهم : وقد أعفيت المريض منكم والمسافر . ثم بالغ فى التيسير وقال لهم : وقد أبحت لمن لا عذر له أن يفطر على أن يطعم مسكينا .

ثم حبب إليهم الصيام وأخبرهم أن فيه خيراً كثيراً لهم .

فلما تم له ذلك ، كانت نفوسهم قد تمهدت واستعدت ، وأصبحت تطيق ما هو أشق من ذلك .

فأبطل ما كان من جواز الإفطار ، وألزمهم بصوم رمضان .

شهر رمضان

قال تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون » (البقرة ١٨٥) .

« شهر رمضان » أى الأيام المعدودات التى فرضها الله عليكم هى الشهر المشهور بينكم بشهر رمضان ، فهو مشهور بحيث لا يحتاج إلى بيان ، يعرفه الأمى وغير الأمى .

وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر شهر رمضان . . عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فان غم عليكم فاقدروا له . (أخرجه البخارى) .

هل هذا يحتاج إلى بيان ؟

إذا ثبتت رؤية هلال رمضان وجب الصوم علينا جميعاً .

وإذا ثبتت رؤية هلال شوال فقد وجب الفطر .

فإن غم علينا رؤية هلال رمضان فلنكمل شعبان ثم نصوم ، وإن غم علينا هلال شوال فلنكمل عدة رمضان ثلاثين يوما .

ويفسر ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لاتقدموا الشهر بصيام يوم ولا يومين إلا أن يكون شىء يصومه أحدكم لا تصوموا حتى تروه ثم صوموا حتى تروه فإن

حال دونه غمامة فأتموا العدة ثلاثين ثم أفطروا والشهر تسع وعشرون » .
(أخرجه أبو داود) .

فالأمر واضح . وقد جعل الله الأهلة مواقيت للناس لأنها أمر لا يتغير ، والأحكام الشرعية لا تتعلق إلا بشيء يستوى فيه الناس جميعاً .

وأوضح من ذلك هذا الحديث .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غُمِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » (أخرجه البخارى) .

عليك صلوات الله وسلامه يارسول الله ، أى وضوح بعد هذا ؟ هذا هو شهر رمضان ، وهذه هى طريقة تحديده ، وهى في إمكان كل أمى وكل عليم .

فمن اهتدى إلى رمضان بالعلوم الحديثة وآلات الكشف العصرية فلامانع ، ومن لا فهذه طريقه ، وهل كان العرب إلا أمة أمية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين » . (أخرجه البخارى) .

« الذى أنزل فيه القرآن » أى ابتدىء فيه إنزاله وكان ذلك ليلة القدر . أونزل فيه جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض في ثلاث وعشرين سنة .

« هدى للناس » أى أن هذا القرآن الذى أنزل فى شهر رمضان هو هدى عظيم لمن شاء منهم أن يستقيم .

« وبينات من الهدى » وآيات واضحات من جملة الكتب الالهية الهادية إلى الحق .

« والفرقان » والفارقة بين الحق والباطل باشتمالها على المعارف الالهية والأحكام العملية .

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فمن حضر في الشهر فليصم فيه ، أو من علم هلال الشهر وتيقن به فليصم .

« ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » فى الآية السابقة ذكر الله هذا الحكم ، وفى هذه يذكره ، والحكمة فى ذلك أن الآية السابقة كانت تمهيداً لفرض الصوم عليهم ، فلما أتمت مهمتها لزم ذكر هذا الحكم مرة ثانية فى هذه الآية . حتى لا يظن الناس أن رخصة الإفطار للمريض والمسافر نسخت كما نسخت رخصة الإفطار للمطيق . وعلى ذلك فان هذه الآية لم تغير من أحكام الأخرى إلا إلغاء حكم الإفطار للمطيق .

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » لغاية رأفته وسعة رحمته .

« ولتكملوا العدة » أى أبحنا لكم الفطر ثم القضاء فى حالتى المرض والسفر لتتمكنوا من إكمال عدة رمضان أى عدد أيامه . فالمطلوب ممن حضر رمضان أن يصومه ، والمطلوب ممن أفطر منه شيئا لمرض أو سفر أن يقضيه لأن المراد بإكمال عدة رمضان ، هو صوم شهر كامل .

« ولتكبروا الله على ماهداكم » التكبير هو قولك الله أكبر ، فما معنى هذه الكلمة ؟ .

معناها الله أعظم مما يدور فى تفكير الناس ، ليس كمثله شيء . فمهما تصورت من شيء فهو سبحانه أكبر ، أى أعظم من خيالك .

والحق أن فريضة الصوم تجعل الصائم فى حالة روحية تشعره بعظمة الله ، فلو تصورت المسلمين جميعاً فى نهار رمضان ، وقد تركوا طعامهم وشرابهم ، لا لشيء إلا لأن الله فرض عليهم ذلك ، لو تصورت هذا أحسست بعظمة الله ،

وأنه جعل العباد يخضعون لأمره سبحانه ، رغم أنهم لم يروه سبحانه ولم يشهدوه سبحانه .

فالمعنى أن الله أوجب إكمال عدة شهر رمضان ، ليكون سبباً فى تكبيره سبحانه وتعظيمه على ماهدانا إليه من صومه كاملا .

ومن ذا الذى لايشعر بعظمة الله وهو صائم فى رمضان ؟ .

« ولعلكم تشكرون » فرض الله الصوم علينا ليخلصنا من فتنة الفم والفرج ، فحرم علينا فيه الطعام والشراب والنكاح طول النهار ، وبذلك ينصرف الإنسان إلى ربه ، ومتى صفت روحك وأحسست بعظمة خالقك ، أدركت عظيم نعمته عليك فى الطعام أو الشراب ، ثم فى سائر النعم .

ذلك بأن الإنسان دائما يحقر نعمة الله عليه أى يكفرها وينكرها ويقلل من شأنها . وأكثر ما يكون كفره بنعم الله في المسائل المادية كالطعام والشراب ، فإذا ماجاء الصوم وحرمه منهما ، ورأى نفسه لايقدر على تناول لقمة بينما النعم تحت يديه ، أحس أن الطعام الذى كان لايقيم له وزنا هو من أجل النعم عليه ، حينئذ يستغفر ربه ويشكره على نعمته التى أنعم عليه .

وهذا هو سر اختتام الآية بقوله « ولعلكم تشكرون » أى لعل الصوم يكون سبباً يجعلكم تشكرون نعمتى عليكم .

فإذا صمت الصوم الشرعى صرت من الشاكرين لربهم . ولكن كم من الناس يصير شاكراً بسبب الصوم ؟ .

وقليل من عبادى الشكور .

لأن الإنسان سرعان ما ينكر النعمة إذا أفطر ، وينقلب كفوراً . وهذا هو سر قوله « ولعلكم » أى ويرجى أن يكون بعضكم شاكراً بسبب الصوم .

الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر الصائم

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أوشاتمه فليقل إني صائم مرتين والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى. الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشر أمثالها» (أخرجه البخارى).

«جنة» يقى صاحبه مايؤذيه من الشهوات، ويستر من الآثام ومن النار.

«فلا يرفث» لايفحش، والمراد من الرفث هنا الكلام الفاحش. ويطلق على الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء.

«ولايجهل» أى لايفعل شيئا من أفعال الجاهلية كالعبط والسفه والسخرية.

وقال القرطبي: لايفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ماذكر، وإنما المراد أن المانع من ذلك يتأكد بالصوم.

«وإن امرؤ قاتله» نازعه ودافعه.

«أو شاتمه» أو تعرض للمشاتمة.

«فليقل إني صائم» كلاماً لسانياً ليسمعه الشاتم والمقاتل فيزجر غالباً. لسانيا أى يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته.

اختلف العلماء فى هذا على ثلاثة أقوال

أحدها أن يقول ذلك بلسانه « إنى صائم » حتى يعلم من يجهل أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث والجهل .

والثانى أن يقول ذلك لنفسه أى وإذا كنت صائما فلا ينبغى أن أخدش صومى بالجهل ونحوه فيزجر نفسه بذلك .

والقول الثالث التفرقة بين صيام الفرض والنفل ، فيقول ذلك بلسانه فى الفرض ، ويقوله لنفسه فى التطوع .

« مرتين » منهم من ذكرها مرتين ومنهم من اقتصر على واحدة . أى يقول « إنى صائم » أو « إنى صائم إنى صائم » .

« والذى نفسى بيده » أقسم على ذلك للتأكيد .

« لخلوف فم الصائم » هو تغير طعم الفم ورائحته لتأخر الطعام .

« أطيب عند الله تعالى من ريح المسك » طيبه عند الله رضاه به وثناؤه الجميل وثوابه . وهو عبارة عن الرضى والقبول

« يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى » أى قال الله تعالى يترك الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلى .

والمراد بالشهوة فى الحديث شهوة الجماع . وقيل المقصود جميع الشهوات .

« الصيام لى » لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله أضافه إلى نفسه .

والمعنى أن الصوم أحب العبادات إلى والمقدم عندى لأنه قال (الصيام لى) فأضافه إلى نفسه وكفى به فضلا على سائر العبادات . وقيل لأن الاستغناء عن

الطعام من صفات الله عز وجل فيقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة ، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء .

« وأنا أجزى به » أى أجازى به عليه جزاء كثيراً من غير تعيين لمقداره. والمعنى أن الله منفرد بعلم مقدار ثواب الصوم وتضعيفه بخلاف غيره من العبادات فقد يطلع عليها بعض الناس .

واتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصى قولا وفعلا

ونقل ابن العربى عن بعض الزهاد أنه مخصوص بصيام خواص الخواص ، فقال إن الصوم على أربعة أنواع :

صيام العوام ... وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع .

وصيام خواص العامة ... وهو هذا الصوم مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل .

وصيام الخواص ... وهو الصوم عن ذكر غير الله وعبادته .

وصيام خواص الخواص ... وهو الصوم عن غير الله فلا فطر لهم إلا يوم لقائه .

« والحسنة بعشر أمثالها » سائر الحسنات بعشر الأمثال بخلاف الصوم فإنه يضاعفه بدون الحساب ، والحاصل أن الصيام لا يتقيد باعداد التضعيف بل الله يجزيه على ذلك بغير حساب .

إذا كان أول ليلة من رمضان

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل شهرُ رمضان فُتِحت أبوابُ السماءِ وغلِقَت أبوابُ جهنمَ وسُلسلت الشياطين (أخرجه البخارى) .

« إذا دخل شهر رمضان » أى إذا كان أول ليلة من شهر رمضان .

« فتحت أبواب السماء » المراد فتحت أبواب الجنة ، وفائدة الفتح توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين وأن ذلك من الله بمنزلة عظيمة .

وأيضاً فيه أنه إذا علم المكلف المعتقد ذلك باخبار الصادق يزيد فى نشاطه ويتلقاه بأريحته .

وذهب بعضهم إلى أن المراد بفتح أبواب الجنة كثرة الطاعات فى شهر رمضان فإنها موصلة إلى الجنة .

وقال آخرون المراد به ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجبة بها إلى الجنة من الصيام والصلاة والتلاوة ، وأن الطريق إلى الجنة فى رمضان سهل والأعمال فيه أسرع إلى القبول .

« وغلقت أبواب جهنم » لأن الصوم جنة ، فتغلق أبوابها بما قطع عنهم من المعاصى وترك الأعمال السيئة المستوجبة للنار ولقلة ما يؤاخذ الله العباد بأعمالهم السيئة ليستنقذ منها ببركة الشهر .

« وسلسلت الشياطين » أى شدت بالسلاسل . ويحتمل أن يكون المراد أن الشياطين لا يخلصون من إفساد المسلمين إلى ما يخلصون إليه فى غيره ، لاشتغالهم بالصيام الذى فيه قمع الشياطين ، وبقراءة القرآن والذكر .

والمقصود تقليل الشرورفيه ، وهذا أمرمحسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره .

توجه بصيامك إلى الله

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه . (أخرجه البخارى) .

« إيماناً » أى تصديقاً بوجوبه .

« واحتساباً » أى طلباً للأجر فى الآخرة .

وقال الخطابى : أى عزيمة ، وهو أن يصومه على معنى الرغبة فى ثوابه ، طيبة نفسه بذلك ، غير مستثقلة لصيامه ، ولا مستطيلة لإتمامه .

إن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أن أى إنسان ، صام شهر رمضان ، بنية صادقة لله ، يدفعه إلى ذلك تصديق بالله وبرسوله ، ورغبة فيما عند الله من ثواب عظيم للصائم ، إن من فعل ذلك خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وسبب ذلك أن الصائم الصادق المتجه إلى الله فى صومه ، إنما هو فى حالة من البعد التام عن كل معصية ، فهو فى حالة توبة صحيحة ، ومن تاب تاب الله عليه . وغفر له ما تقدم من ذنبه .

فهل آن للمعرضين عن الله أن ينتهزوا هذه الفرصة ، ويؤوبوا إلى الله فى رمضان ، فيغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم ؟

وكان أجود ما يكون فى رمضان

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يَعْرِضُ عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة . (أخرجه البخارى) .

« أجود الناس » أسخى الناس ، لما كانت نفسه أشرف النفوس ، ومزاجه أعدل الأمزجة ، لا بد أن يكون فعله أحسن الأفعال ، وشكله أملح الأشكال ، وخلقه أحسن الأخلاق .

فلا شك بكونه أجود ، وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات ؟ .

« الريح المرسلة » أى المبعوثة لنفع الناس ، أو من الريح المرسلة للرحمة . أى أن جوده فى عموم النفع والإسراع فيه كالريح المرسلة ، وشبه عمومه وسرعة وصوله إلى الناس بالريح المنتشرة . وشتان ما بين الأمرين فإن أحدهما يحيي القلب بعد موته والآخر يحيي الأرض بعد موتها .

ذلك أن رمضان شهر عظيم ، وفيه الصوم ، وفيه ليلة القدر ، وهو من أشرف العبادات ، فلذلك قال «الصوم لى وأنا أجزى به» فلا جرم يتضاعف ثواب الصدقة والخير فيه ، وكذلك العبادات .

وعن هذا قال الزهرى : تسبيحة فى رمضان خير من سبعين فى غيره .

وأما ملاقاة جبريل عليه السلام فإن فيها زيادة ترقية فى المقامات ، وزيادة إطلاعه على علوم الله سبحانه وتعالى . ولا سيما عند مدارسته القرآن معه ، مع نزوله إليه في كل ليلة ، ولم ينزل إلى غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما نزل إليه .

ولقد قيل ما الحكمة فى مدارسته القرآن فى رمضان ؟

وأجيب بأنها كانت لتجديد العهد واليقين .

وقال الكرمانى : وفائدة درس جبريل عليه الصلاة والسلام ، تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، بتجويد لفظه ، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها ، وليكون سنة فى هذه الأمة ، كتجويد التلامذة على الشيوخ قراءتهم .

وأما تخصيصه رمضان فلكونه موسم الخيرات ، لأن نعم الله تعالى على عباده فيه زائدة على غيره .

وقيل الحكمة فى المدارسة أن الله تعالى ضمن لنبيه أن لا ينساه ، فأقره بها ، وخص بذلك رمضان لأن الله تعالى أنزل القرآن فيه إلى سماء الدنيا جملة من اللوح المحفوظ ، ثم نزل بعد ذلك على حسب الأسباب فى عشرين سنة .

لقد كان صلى الله عليه وسلم أكرم الناس على الإطلاق . وكان أكرم ما يكون فى رمضان .

فينبغى أن يكون الإنسان كذلك في شهر رمضان .

وكان صلى الله عليه وسلم كل ليلة يدارس جبريل عليه السلام القرآن .

فينبغى على كل إنسان أن يكثر من قراءة القرآن فى رمضان ، فى كل ليلة من رمضان .

ذلك أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح وسائر الأذكار ، إذ لو كان الذكر أفضل أو مساوياً ، لفعلاه دائماً ، أو فى أوقات مع تكرر اجتماعهما .

وبعد ... هل رأيت الآن كيف كان صلى الله عليه وسلم من الجود والكرم فى رمضان ؟

وهل تنوى أن تكون كذلك فى رمضان ؟

يقول لك رسـول الله . . .

دع قول الزور فى رمضان . . .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه . (أخرجه البخارى) .

« من لم يدع » من لم يترك .

« قول الزور » هو الـكذب والبهتان فى حال تلبسه بالصوم .

« فليس لله حاجة » هـذا مجاز عن عدم الالتفات والقبول .

« فى أن يدع طعامه وشرابه » ذلك أن الصيام إنما يتم باجتناب المحظورات لا بمجانبة الطعام والشراب والجماع فقط .

واختلف العلماء فى أن الغيبة والنميمة والـكذب ، هل يفطر الصائم ؟

فذهب الجمهور من الأئمة إلى أنه لا يفسد الصوم بذلك ، وإنما التنزه عن ذلك من تمام الصوم .

وعن الثورى أن الغيبة تفسد الصوم ، ذكره الغزالى في الإحياء .

والمعروف عن مجاهد « خصلتان من حفظهما سـلم له صومه ، الغيبة والـكذب » .

للصائم فرحتان

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « . . . للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقى ربه فرح بصومه » . (أخرجه البخارى)

« يفرحهما » أى يفرح بهما .

« إذا أفطر فرح » معناه فرح بزوال جوعه وعطشه ، حيث أبيح له الفطر وهذا الفرح طبيعى ، وهو السابق للفهم ، وقيل إن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه ، وخاتمة عبادته ، وتخفيف من ربه ، ومعونة على مستقبل صومه .

« وإذا لقى ربه فرح بصومه » أى بجزائه وثوابه . وقيل هو السرور بقبول صومه ، وترتب الجزاء الوافر عليه .

وقال ابن العربى : فرحة عند إفطاره بلذة الغذاء عند الفقهاء ، وبخلوص الصوم من الرفث واللغو عند الفقراء .

والخلاصة أن الصيام إمساك طويل عن اللذائذ كلها ، فإذا ما انطلق المدفع بغروب شمس اليوم ، وأفطر الصائم على ما تيسر من رزق الله ، كانت لحظات من أسعد لحظات الحياة .

تطور أحكام الصيام

إليك الآية الجامعة الفذة فى كتاب الله تعالى ، التى سجلت تطور أحكام الصيام وأحلت أشياء كانت محرمة ، وحرمت أشياء كانت محللة ، وصارت محكمة غير منسوخة إلى يوم القيامة .

قال تعالى « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

(البقرة ١٨٧)

لم يكن الصيام قبل نزول هذه الآية ، كما نحن عليه الآن ، بل كان الناس إذا نام أحدهم بعد المغرب حرم عليه كل شىء من طعام أو شراب أو نساء ، ويبقى على هذه الحال حتى يأتى المغرب من اليوم الثانى . فلم يكن الليل كله لهم ، يأكلون ويشربون ويتمتعون فيه بالنساء كما نفعل الآن . لا بل كان مجرد نوم أحدهم فى أى وقت بعد الغروب يحرم عليه كل ذلك إلى غروب اليوم القادم .

عن البراء رضى الله عنه قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى وإن قيس بن صرمة الأنصارى كان صائماً فلما حضر

الإفطار أتى امرأته فقال لها أعندك طعام قالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » ففرحوا بها فرحاً شديداً ونزلت « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود » . (أخرجه البخارى)

وعن أبى إسحاق « كان المسلمون إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا فإذا ناموا لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلى مثلها » .

وجاء فى أسباب النزول « كان الناس فى رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد ، فرجع عمر ابن الخطاب من عند النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سمر عنده فوجد امرأته قد نامت فأرادها فقالت إنى قد نمت فقال ما نمت ثم وقع بها ، وصنع كعب ابن مالك مثله . فغدا عمر بن الخطاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن) الآية » .

لقد كان عليهم إذا ماناموا بعد غروب الشمس أن يمتنعوا عن الأكل والشرب والجماع حتى الغروب القادم .

من أجل ذلك أبى قيس رضى الله عنه أن يأكل شيئاً مما أحضرت له زوجه ، لأنه غلبته عيناه ونعس قليلا .

ومن أجل ذلك غدا عمر رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله المخرج مما صنع بامرأته بعد أن نامت .

فتفضل الله عليهم وعلى المؤمنين جميعاً من بعدهم بهذه الآية الكريمة ، بعد أن ضيق عليهم ليشعروا بعظيم فضله ، لأن النعمة بعد العسر لها لذتها .

« أحل لكم » أحللت لكم يا أيها الذين آمنوا .

« ليلة الصيام » طول ليالى الصيام ، أى طول كل ليلة يعقبها يوم صوم .

« الرفث إلى نسائكم » جماع نسائكم والاستمتاع بهن كيف وأنى شئتم .

« هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » هن سكن لكم وأنتم سكن لهن .

وحاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه ، فناسب أن يرخص لهم فى المجامعة فى ليل رمضان ، لئلا يشق ذلك عليهم ويحرجوا .

وقيل كل قرن منكم يسكن إلى قرنه ويلابسه .

والعرب تسمى المرأة لباساً قال الشاعر :

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تداعت فكانت عليه لباساً

« علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » أى لم يغب عن علمه سبحانه ما كانوا يفعلون من إتيان النساء وتناول الطعام بعد نومهم بالليل رغم تحريم ذلك عليهم وهذا ظلم لأنفسهم . فقوله (تختانون أنفسكم) يعنى تجامعون النساء وتأكلون وتشربون فى الوقت الذى كان حراما عليكم . أى تظلمون أنفسكم .

« فتاب عليكم » أى غفر لكم ما ارتكبتم من مخالفات حين سألتموه المغفرة

« وعفا عنكم » مشقة هذا التكليف ، وأزال تحريمه لأنه فوق طاقتكم ، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها وإنما فعل بكم ذلك على سبيل الاختبار .

«فالآن باشروهن» فمن الآن ، من وقت نزول هذه الآية لكم أن تباشروهن أى تجامعوهن وتستمتعوا بهن كيف شئتم من غروب الشمس إلى أذان الفجر .

«وابتغوا ما كتب الله لكم » أى اطلبوا ما أحله الله لكم ورخصه . أو اطلبوا ما قدره الله لكم من النسل الصالح ، ففى هذا إشارة إلى طلب الخلفة وعدم الزهد فيها . وفى قوله (فالآن باشروهن) إشارة إلى إباحة الاستمتاع مطلقاً . فكأن الآية تريد أن تقول اجعلوا إلى جوار المتعة ابتغاء النسل لا مجرد الشهوة وحدها .

وعن ابن عباس فى (ابتغوا ما كتب الله لكم) قال ليلة القدر .

« وكلوا واشربوا » ولكم كذلك أن تأكلوا وتشربوا .

« حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود » .

عن عدىّ بن حاتم رضى الله عنه قال : لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتى فجعلت أنظر فى الليل فلا يستبين لى فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار . (أخرجه البخارى) .

(العقال هو الحبل الذى يعقل به البعير) . لقد ظن ابن حاتم رضى الله عنه أن المقصود بالخيط الخيط الحقيقى حتى بين له سيد العارفين صلى الله عليه وسلم إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار .

« من الفجر » أى أن تبين بياض النهار من سواد الليل إنما هو جزء من الفجر لأنه أول انشقاقه .

عن سهل بن سعد قال : أنزلت (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعد (من الفجر) فعلموا أنه إنما يعنى الليل والنهار . (أخرجه البخارى) .

لقد ربط الله العبادات بالظواهر الطبيعية التى لا تتغير ، حتى لا يختلف عليها الناس .

فكما أنه جعل الصوم شهراً يعرف عن طريق القمر . جعل الإفطار والإمساك يعرفان عن طريق الشمس .

« ثم أتموا الصيام إلى الليل » أى واصلوا الإمساك عن الطعام والشراب والنساء إلى مبدء الليل ، إلى غياب قرص الشمس الذى هو مبدء دخول الليل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم . (أخرجه البخارى) .

ونكتفى بتفسير هذا القدر من هذه الآية الجامعة ، على أن نعود إلى تفسير ما تبقى منها ، فى باب الاعتكاف قرب نهاية الكتاب .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخر السحور

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة قلت : كم كان بين الأذان والسحور قال قدر خمسين آية (أخرجه البخارى) .

« تسحرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم » أى فى صحبته ، وهو يدل على أنه لم يكن وحده مع النبي صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة .

« ثم قام إلى الصلاة » أى ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم بعد السحور ليؤم أصحابه فى صلاة الفجر .

« قدر خمسين آية » كانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال كقولهم قدر حلب شاة وقدر نحر جزور ، فعدل زيد بن ثابت رضى الله عنه عن ذلك إلى التقدير بالقراءة إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة . وفيه إشارة إلى أن أوقاتهم كانت مستغرقة بالعبادة .

والحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤخر السحور لكونه أبلغ فى المقصود ، وهو صلى الله عليه وسلم كان ينظر الى ما هو أرفق بأمته .

ويدل كذلك على أن الفراغ من السحور كان قبل الفجر بمقدار قراءة خمسين آية .

بل هناك حديث آخر يدل على أكثر من ذلك ، يدل على أن بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم كان يتسحر ثم يسرع بعد سحوره مباشرة ليدرك صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم .

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال كنت أتسحر فى أهلى ثم تكون سرعتى أن أدرك السجود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخرجه البخارى) .

فهل آن للناس أن ينتظموا فى صومهم على الأسلوب الذى كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟

تسحّروا

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « قال النبى صلى الله عليه وسلم تسحروا فإن فى السحور بركة » (أخرجه البخارى) .

« تسحروا » أمر ندب بالإجماع .

« فإن في السحور » بفتح السين اسم لما يتسحر به .

« بركة » قد ذكروا فيها معانٍ .

الأول : أنه يبارك فى اليسير منه بحيث يحصل به الإعانة بالصوم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « ولو بجرعة ماء ولو بتمرة » ونحو ذلك .

الثانى : يراد بالبركة نفى التبعة فيه ، وقد ذكر صاحب الفردوس من حديث أبى هريرة « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان » .

الثالث : يراد بالبركة القوة على الصيام وغيره من أعمال النهار .

الرابع : يراد بالبركة الرخصة والصدقة ، وهو الزيادة في الأكل على الأكل عند الإفطار كما كان أولا ثم نسخ . وأصل البركة في اللغة الزيادة والنماء .

وقال عياض : قد تكون هذه البركة ما يتفق للمتسحر من ذكر أو صلاة أو استغفار وغيره من زيادات الأعمال التي لولا القيام للسحور لكان الإنسان نائماً عنها وتاركا لها ، وتجديد النية للصوم ليخرج من الاختلاف .

وقال ابن دقيق العيد : هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية . فإن إقامة السنة توجب الأجر وزيادته . ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم وتيسيره من غير إضرار بالصائم .

عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » (أخرجه مسلم) .

معناه الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم السحور ، فإنهم لا يتسحرون ونحن يستحب لنا السحور .

وهذا كله في حق الأمة ، في حق الأفراد مثلي ومثلك ومثل سائر المسلمين.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان له مقام أعلى من ذلك .

كان أحياناً يفطر ويتسحر كأصحابه وأحياناً أخرى ... ؟ !

يواصل وينهى عن الوصال

عن عبد الله رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم قالوا: إنك تواصل قال لست كهيئتكم إنى أظل أُطعم وأُسقى. (أخرجه البخارى).

« واصل » أى بين الصومين فى غير إفطار بالليل .

« فواصل الناس » أيضا تبعاً له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

« فشق عليهم » أى فشق الوصال على الناس لمشقة الجوع والعطش .

« فنهاهم » أى عن الوصال لما رأى مشقتهم .

« إنك تواصل » إنك تصل اليوم باليوم فى غير إفطار بالليل .

« لست كهيئتكم » أى ليس حالى مثل حالكم .

« إنى أظل أطعم وأسقى » المعنى أظن أطعم وأسقى لا على صورة طعامكم وسقيكم ، لأن الله تعالى يفيض عليه ما يسد مسد طعامه وشرابه من حيث أنه يشغله عن إحساس الجوع والعطش ويقويه على الطاعة ويحرسه عن تحليل يفضى إلى ضعف القوى وكلال الحواس .

فإن قلت : ما حكمة النهى عن الوصال ؟

قلت : إيراث الضعف والعجز عن المواظبة على كثير من وظائف الطاعات والقيام بحقوقها .

والعلماء فيه اختلاف فى أنه نهى تحريم أو تنزيه والظاهر الأول .

فإن قلت : هل هو نهى عن عبادة فى حق من أطاقها وحرص عليها ؟

قلت : لا لأنه كان خوفاً أن يؤدى ذلك إلى المازعة ، لأنه كان من خصائصه كما قال بعضهم .

فإن قلت : جاء الوصال عن جماعة من الصحابة وغيرهم . ففى كتاب (الأوائل) للعسكرى ، كان ابن الزبير يواصل خمسة عشر يوماً حتى تيبس أمعاؤه فإذا كان يوم فطره أتى بسمن وصبر فيحساه حتى لاتفتق الأمعاء . وعن عامر ابن عبد الله بن الزبير أنه كان يواصل ليلة ست عشرة وليلة سبع عشرة من رمضان لا يفرق بينهما ويفطر على السمن ، فقيل له فقال السمن يبل عروقى والماء يخرج من جسدى .

قلت : قال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال ، واختلفوا فى تأويله فقيل نهى عنه رفقاً بهم فمن قدر على الوصال فلا حرج عليه لأنه لله عز وجل يدع طعامه وشرابه ، وكان عبد الله ابن الزبير وجماعة يواصلون الأيام . وكان أحمد واسحاق لا يكرهان الوصال من سحر إلى سحر لا غير . وكره أبو حنيفة ومالك والشافعى وجماعة من أهل الفقه والأثر الوصال على كل حال لمن قوى عليه ولغيره . ولم يجيزوا الوصال لأحد لهذا الحديث .

وقال الخطابى الوصال من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم ومحظور على أمته .

وذهب أهل الظاهر إلى تحريمه .

وقال الطبرى : وروى عن بعض الصحابة وغيرهم من تركهم الأكل الأيام

ذوات العدد ، وكان ذلك منهم على أنحاء شتى ، فمنهم من كان ذلك منه لقدرته عليه ، فيصرف فطره إلى أهل الفقر والحاجة ، ومنهم من كان يفعله استغناء عنه ، أو كانت نفسه قد اعتادته . كما روى الأعمش عن التيمى أنه قال : ربما لبث ثلاثين يوماً ما أطعم من غير صوم ، وما يمنعنى ذلك من حوائجى .

وقال الأعمش : كان ابراهيم التيمى يمكث شهرين لا يأكل ، ولكنه يشرب شربة من نبيذ (التمر المنقوع) .

ومنهم من كان يفعله منعاً لنفسه شهوتها ما لم تدعه إليه الضرورة ، ولا يخاف العجز عن أداء واجب عليه ، إرادة قهرها ، وحملها على الأفضل .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والوصال قالوا فإنك تواصل يارسول الله قال إنكم لستم فى ذلك مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون » .

(أخرجه مسلم) .

« فاكلفوا » خذوا وتحملوا .

وهذا الحديث هو القول الفصل في هذا الأمر .

صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب

عن عائشة وأم سلمة زوجى النبي صلى الله عليه وسلم أنهما قالتا إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح جُنُباً من جماع غير احتلام فى رمضان ثم يصوم » . (أخرجه مسلم) .

حديث عائشة وأم سلمة أصل فى هذا الباب ، لأنهما أعلم بمثل هذا من غيرهما ،

ولأنه موافق للقرآن ، فإن الله تعالى أباح الأكل والشرب والمباشرة إلى طلوع الفجر ، قال الله تعالى (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) والمراد بالمباشرة الجماع ، ولهذا قال الله تعالى (وابتغوا ما كتب الله لكم) ومعلوم أنه إذا جاز الجماع إلى طلوع الفجر لزم منه أن يصبح جنباً ويصح صومه .

وإن كان الأفضل أن يغتسل قبل الفجر .

فإن قيل : كيف يكون الاغتسال قبل الفجر أفضل وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه ؟

فالجواب أنه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان الجواز ، ويكون في حقه حينئذ أفضل لأنه يتضمن البيان للناس ، وهو مأمور بالبيان . وهذا كما توضأ مرة مرة في بعض الأوقات بياناً للجواز ، ومعلوم أن الثلاث أفضل ، وهو الذي واظب عليه ، وتظاهرت به الأحاديث .

وأما حكم المسألة فقد أجمع أهل هذه الأمصار على صحة صوم الجنب سواء كان من احتلام أو جماع وبه قال جماهير الصحابة والتابعين .

وإذا انقطع دم الحائض والنفساء في الليل ثم طلع الفجر قبل اغتسالها صح صومهما ووجب عليهما إتمامه سواء تركت الغسل عمداً أو سهواً ، بعذر أم بغيره ، كالجنب ، هذا مذهب العلماء كافة .

*

* *

عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب فقال يارسول الله تدركني الصلاة

وأنا جنب أنأصوم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا تدركنى الصلاة وأنا جنب نأصوم. فقال لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . فقال والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى . (أخرجه مسلم) .

ولعل هذه الفتوى النبوية يكون فيها فصل الخطاب .

القُبلة للصائم

عن عائشة رضى الله عنهما قالت « إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُقبل بعض أزواجه وهو صائم ثم ضحكت » (أخرجه البخارى) .

« ثم ضحكت » قيل كان ضحكها تنبيها على أنها صاحبة القضية ليكون أبلغ فى الثقة بحديثها . وقال القاضى عياض : يحتمل ضحكها التعجب ممن خالفه فيه أومن نفسها حيث جاءت بمثل هذا الحديث الذى يستحى من ذكره ، لا سيما حديث المرأة عن نفسها للرجال ، لكنها اضطرت إلى ذكره لتبليغ الحديث ، فتعجبت من ضرورة الحال المضطرة لها إلى ذلك . وقيل ضحكت سروراً بتذكر مكانها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالها معه .

*

* *

وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلنى وهو صائم وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه ؟ » (أخرجه مسلم) .

« وأيكم يملك إربة » وأيكم يملك نفسه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك نفسه ؟

قال العلماء معنى كلام عائشة رضى الله عنها أنه ينبغى لكم الاحتراز عن القبلة ، ولا تتوهموا من أنفسكم أنكم مثل النبى صلى الله عليه وسلم فى استباحتها لأنه يملك نفسه ويأمن الوقوع فى قبلة يتولد منها إنزال أو شهوة أو هيجان نفس ونحو ذلك ، وأنتم لا تأمنون ذلك ، فطريقكم الانكفاف عنها .

*

* *

وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم ولكنه أملككم لإربه » .

(أخرجه مسلم)

« ويباشر وهو صائم » معنى المباشرة هنا اللمس باليد وهو من التقاء البشرتين . والمباشرة هى الملامسة وأصله من لمس بشرة الرجل بشرة المرأة .

*

* *

وعن مسروق قال: سألت عائشة أم المؤمنين ما يحل للرجل من امرأته صائماً ؟

فقالت : كل شىء إلا الجماع .

وروى عن ابن عباس أنه قال إن عروق الخصيتين معلقة بالأنف ، فإذا وجد الريح تحرك ، وإذا تحرك دعى إلى ماهو أكثر من ذلك ، والشيخ أملك لإربه .

وكره مالك القبلة للصائم فى رمضان للشيخ والشاب .

وعن ابن عباس أنه أرخص فيها للشيخ وكرهها للشاب .

وقال عياض: منهم من أباحها على الإطلاق ، وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين ، وإليه ذهب أحمد واسحاق وداود من الفقهاء .

ومنهم من كرهها على الإطلاق ، وهو مشهور قول مالك .

ومنهم من كرهها للشاب ، وأباحها للشيخ ، وهو المروى عن ابن عباس ، ومذهب أبى حنيفة والشافعى والثورى والأوزاعى وحكاه الخطابى عن مالك .

ومنهم من أباحها فى النفل ، ومنعها فى الفرض .

وقال النووى : أن حركت القبلة الشهوة فهى حرام على الأصح ، وقيل مكروه كراهة تنزيه .

وقال الحنفية فى فروعهم : لابأس بالقبلة والمعانقة إذا أمن على نفسه ، أوكان شيخاً كبيراً ، ويكره له مس فرجها

وعن أبى حنيفة تكره المعانقة والمصافحة والمباشرة الفاحشة بلاثوب ، والتقبيل الفاحش مكروه وهو أن يمضغ شفتيها .

الصائم إذا أكل أو شرب أو جامع ناسياً

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا نَسِيَ فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه » (أخرجه البخارى) .

« إذا نسى » أى الصائم .

« فليتم صومه » وفى رواية الترمذى (فلا يفطر) .

فإن قلت : كيف وجه الاستدلال بهذا الحديث على أن الأكل والشرب ناسياً لا يوجب شيئاً ولا ينقض صومه ؟

قلت : قوله (فليتم) أمر بالاتمام ، وسمى الذى يتمه صوماً ، والحمل على الحقيقة الشرعية هو الوجه .

ثم لا فرق عند الحنفية وعند الشافعى بين القليل والكثير .

وقال المهلب وغيره : لم يذكر فى الحديث إثبات القضاء فيحمل على سقوط الكفارة عنه ، وإثبات عذره ، ورفع الإثم عنه ، وبقاء نيته التى بيتها .

والجواب عن ذلك كله بما رواه ابن حبان عن أبى هريرة :

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أفطر فى شهر رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة » .

وحكم الجماع ناسياً كحكم الأكل والشرب ناسياً فى عدم وجوب شىء عليه .

وقال الحسن ومجاهد : إن جامع ناسياً فلا شىء عليه .

وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه ، والشافعى ، وأحمد ، واسحاق ، وابن المنذر وغيرهم .

وقال الليث ومالك : يفطر وعليه القضاء .

زاد أحمد : والكفارة فى الجماع ناسياً .

وهو أحد الوجهين للشافعية

تحريم الجماع فى نهار رمضان

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فى رمضان فقال يارسول الله احترقت احترقت فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه فقال أصبت أهلى قال تصدق فقال والله يانبي الله مالى شيء وما أقدر عليه قال اجلس فجلس فبينا هو على ذلك أقبل رجل يسوق حمارا عليه طعام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين المحترق آنفاً فقام الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق بهذا فقال يارسول الله أغيرنا فوالله إنا لجياع مالنا شيء قال فكلوه .

(أخرجه مسلم) .

« احترقت احترقت » كأنه لما اعتقد أن مرتكب الاثم يعذب بالنار أطلق على نفسه أنه احترق لذلك ، أو مراده أنه يحترق بالنار يوم القيامة .

« ما شأنه » ما جرى عليه ؟

« أصبت أهلى » كناية عن وطئها . وفى رواية (وقعت على امرأتى فى رمضان) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا وقع بامرأته فى رمضان فاستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال هل تجد رقبة قال لا قال وهل تستطيع صيام شهرين قال لا قال فأطعم ستين مسكيناً .

(أخرجه مسلم)

جاء الرجل يستفتيه صلى الله عليه وسلم ماذا يفعل وقد جامع امرأته فى نهار رمضان ؛ فسأله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبة ؟ أى هل تستطيع إعتاق رقبة من الرق فيكون ذلك كفارة لك ؟ فقال الرجل : لا . إنه لا يملك هذه الرقبة .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وهل تستطيع صيام شهرين ؟ .

قال الرجل : لا . إنه رجل لا يحتمل صوم شهرين متتابعين .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأطعم ستين مسكيناً . إن كفارة فعلتك أن تطعم ستين مسكيناً .

والآن ليس هناك مكان لإعتاق الرقاب ، لقد انتهى عهد الرق . فلم يبق أمام من دفعه سوء حظه إلى هذه الفعلة الشنيعة إلا أن يصوم شهرين متتابعين أو يطعم ستين مسكينا .

فعلى كل إنسان أن يبتعد ما استطاع عن هذه الفعلة السيئة ، حتى لايقع في ذلك الحرج .

وأما من أراد تفصيل ذلك الحكم ففى كتب الفقه الكفاية ، حيث لامجال فى هذا الكتيب للتفصيل .

فإن قلت : ما الحكمة فى هذه الخصال الثلاثة ، العتق أو الصوم أوالإطعام ، وما المناسبة بينها ؟

قلت : الذى انتهك حرمة الصوم بالجماع عمداً فى نهار رمضان فقد أهلك نفسه بالمعصية فناسب أن يعتق رقبة ففدى نفسه بها .

وأما الصيام فمناسبته ظاهرة لأنه كالقاصة بجنس الجناية . وأما كونه شهرين

فلأنه لما أمر بمصابرة النفس فى حفظ كل يوم من شهر رمضان على الولاء فلما أفسد منه يوما كان كمن أفسد الشهر كله من حيث أنه عبارة واحدة بالنوع فكلف بشهرين مضاعفة على سبيل المقابلة لنقيض قصده .

وأما الإطعام فمناسبته ظاهرة لأن مقابلة كل يوم باطعام مسكين .

ثم إن هذه الخصال جامعة لاشتمالها على حق الله تعالى وهو الصوم ، وحق الأرقاء بالإعتاق ، وحق الجانى بثواب الامتثال .

من أفطر يوماً فى رمضان

عن أبى هريرة — رفعه — من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وإن صامه (أخرجه البخارى) .

« رفعه » أى رفع أبو هريرة الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى أن القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لم يقضه صيام الدهر » أى لم يقض عنه صيام العمر كله .

« وإن صامه » وإن صام الدهر كله .

إنها لجريمة كبرى إفطار يوم من رمضان من غير عذر ولا مرض .

فكيف بأولئك الذين يسرحون ويمرحون ويتسكعون فى كل مكان فى رمضان ، يجاهرون بالفطر عيانا بياناً ، ولا حياء ولا عقاب ؟

عن عبد الله بن مسعود قال « من أفطر يوماً من رمضان من غير علة لم يجزه صيام الدهر حتى يلقى الله عز وجل فإن شاء غفر له وإن شاء عذبه » .

فهل هناك من مخرج للمفطر فى رمضان ؟ وهل هناك من سبيل ليرجع إلى الله ؟ . ثم كيف السبيل إلى ذلك ؟ .

قال سعيد بن المسيب ، والشعبى ، وابن جبير ، وإبراهيم ، وقتادة ، وحماد : يقضى يوماً مكانه .

أى قال هؤلاء فيمن أفطر فى نهار رمضان عامداً أن عليه القضاء فقط بغير كفارة .

وعن سعيد بن جبير فى رجل أفطر يوماً متعمداً ، قال يستغفر الله من ذلك ويتوب ويقضى يوما مكانه .

فعلى الذين لايصومون فى رمضان ، الذين يحاربون الله ورسوله ، ويصادمون شعور الملايين المؤمنة الصائمة ، على هؤلاء أن يستغفروا الله فورا ، ويبدءوا الصوم .

ثم عليهم بعد انقضاء رمضان قضاء الأيام التى أفطروها ، يوماً بيوم .

ثم هم بعد ذلك إلى الله إن شاء غفر وإن شاء عذب .

جواز الصوم والفطر فى رمضان للمسافر فى غير معصية

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فيه شراب فشربه نهارا ليراه الناس ثم أفطر حتى دخل مكة قال ابن عباس رضى الله عنهما فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ويرون ان من وجد ضعفا فأفطر فإن ذلك حسن .

وعن حمزة بن عمرو الأسلمى رضى الله عنه أنه قال يارسول الله أجد بى قوة على الصيام فى السفر فهل على جناح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه . (أخرجها مسلم)

هذا واختلف العلماء فى صوم رمضان فى السفر .

فقال بعض أهل الظاهر لا يصح صوم رمضان فى السفر ، فإن صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الآية ولحديث (ليس من البر الصيام فى السفر) وفى الحديث الآخر (أولئك العصاة) .

وقال جماهير العلماء وجميع أهل الفتوى ، يجوز صومه فى السفر وينعقد ويجزيه .

واختلفوا فى أن الصوم أفضل أم الفطر أم هما سواء ؟ .

فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى والأكثرون : الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر ، فان تضرر به فالفطر أفضل .

وقال سعيد بن المسيب والأوزاعى وأحمد واسحاق وغيرهم : الفطر أفضل مطلقاً .

وقال بعض العلماء : الفطر والصوم سواء لتعادل الأحاديث .

والصحيح قول الأكثرين .

للشيخ الكبير والعجوز أن يفطرا

إن الشيخ الكبير والعجوز إذا كان الصوم يجهدهما ويشق عليهما مشقة شديدة فلهما أن يفطرا ويطعما عن كل يوم مسكيناً .

وهذا قول على وابن عباس وأبى هريرة وأنس وسعيد ابن جبير وطاوس وأبى حنيفة والثورى والأوزاعى وأحمد بن حنبل .

وقال مالك: لايجب عليه شيء لأنه لوترك الصوم لعجزه لم تجب فدية كما تركه لمرض اتصل به الموت .

وللشافعى قولان :

أحدهما لاتجب الفدية عليهما لعدم وجوب الصوم عليهما . والثانى تجب الفدية لكل يوم مُد من طعام .

وقال البويطى: هى مستحبة ، ولو أحدث الله تعالى للشيخ الفانى قوة حتى قدر على الصوم بعد الفدية يبطل حكم الفدية .

متى يُقضى قضاء رمضان ؟

متى يؤدى قضاء رمضان ؟

متى تصام الأيام التى تقضى عن فوات رمضان ؟

هل تكون تلك الأيام متتابعة أو متفرقة ؟

عن أبى سلمة قال سمعت عائشة رضى الله عنها تقول كان يكون علىّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضى إلا فى شعبان . قال يحيى الشغل من النبى أو بالنبى صلى الله عليه وسلم . (أخرجه البخارى)

« الشغل من النبي » الشغل هو المانع لها ، والمراد من الشغل أنها كانت مهيئة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مترصدة لاستمتاعه فى جميع أوقاتها إن أراد ذلك ، وأما فى شعبان فإنه صلى الله عليه وسلم كان يصومه ، فتتفرغ عائشة لقضاء صومها .

ومما يستفاد من هذا الحديث أن القضاء موسع ، ويصير فى شعبان مضيقاً ويؤخذ من حرصها على القضاء فى شعبان أنه لا يجوز تأخير القضاء حتى يدخل رمضان ، فإن دخل فالقضاء واجب أيضاً فلا يسقط .

وقال ابن عباس لا بأس أن يفرق لقول الله تعالى (فعدة من أيام أخر) .

هذا وقضاء رمضان إن شاء فرقه وإن شاء تابعه . وإليه ذهب الشافعى ومالك .

وفى شرح المهذب : فلو قضاه غير مرتب أو مفرقاً جاز عندنا وعند الجمهور لأن اسم الصوم يقع على الجميع .

وقال النووى : ومذهب مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وجماهير السلف والخلف أن قضاء رمضان فى حق من أفطر بعذر كحيض وسفر يجب على التراخى ، ولا يشترط المبادرة به فى أول الإمكان . لكن قالوا لا يجوز تأخيره عن شعبان الآتى ، فصار كمن أخره إلى الموت .

وقال الجمهور يستحب المبادرة به للاحتياط فيه ، فإن أخره فالصحيح عند المحققين من الفقهاء وأهل الأصول أنه يجب العزم على فعله ، وكذلك القول فى جميع الواجب الموسع إنما يجوز تأخيره بشرط العزم على فعله ، حتى لو أخره بلا عزم عصى . وقيل لا يشترط العزم . وأجمعوا أنه لو مات قبل خروج شعبان لزمه الفدية فى تركه عن كل يوم مد من طعام .

هذا إذا كان ممكن من القضاء فلم يقض . فأما من أفطر فى رمضان بعذر ثم اتصل عجزه ، فلم يتمكن من الصوم حتى مات فلا صوم عليه ، ولا يطعم عنه ، ولا يصام عنه .

الرخصة فى الإفطار للحبلى والمرضع

عن أنس بن مالك — رجل من بنى عبد الله بن كعب — قال أغارت علينا خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يتغذى فقال ادن فكل فقلت إنى صائم فقال ادن أحدثك عن الصوم أو الصيام ان الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل أو المرضع الصوم أو الصيام . (أخرجه الترمذى)

قال الترمذى : والعمل على هذا عند أهل العلم ، وقال بعض أهل العلم الحامل والمرضع تفطران وتقضيان وتطعمان ، وبه يقول سفيان ومالك والشافعى وأحمد ، وقال بعضهم : تفطران وتطعمان ولا قضاء عليهما ، وإن شاءتا قضتا ولا طعام عليهما وبه يقول اسحاق .

وقال ابن العربى فى شرح الحديث : وأما الحامل والمرضع فالاختلاف فيهما كثير ومتباين . . . والعارضة ههنا أن المسألة معضلة ما وجدت ولا وقدرت على تحقيقها ، فيها أربعة أقوال .

الأول : قال ابن عباس وابن عمر وغيرهما يفديان ولا يقضيان .

والثانى : يفطران ويقضيان خاصة ، قاله جماعة وأبو حنيفة والأوزاعى وربيعة وفى قول لمالك .

الثالث : يفطران وعليهما الأطعام والقضاء . قاله مجاهد والشافعي في قول وأحمد بن حنبل .

عن أنس بن مالك — رجل منهم — أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتغدى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هلم إلى الغداء فقال إني صائم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل وضع للمسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع . (أخرجه النسائي)

والآن أقول للنساء المسلمات ، إن الله رخص للحاملات منكن والمرضعات . أن يفطرن ، رحمة بهن ، فلكن الإفطار ولكن عليكن القضاء . فاحذرن من التهاون ، وأقبلن على الله .

وضع الصيام عن الحائض والنفساء

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم فذلك نقصان دينها . (أخرجه البخاري)

وعن معاذة العدوية أن امرأة سألت عائشة أتقضي الحائض الصلاة إذا طهرت قالت أحرورية أنت كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصوم ولا يأمرنا بقضاء الصلاة .
(أخرجه النسائي)

« أحرورية أنت ؟ ! » طائفة من الخوارج نسبوا إلى حروراء .

وكان عندهم تشدد فى أمر الحيض شبهتها بهم فى تشددهم فى أمرهم وكثرة مسائلهم وتعنتهم بها .

* * *

وقال ابن العربى : الحائض غير مخاطبة بالصوم ولا بالصلاة فى حال حيضها فإذا ارتفع الحيض خوطبت بهما .

وقال الترمذى : والعمل على هذا عند أهل العلم لا نعلم بينهم اختلافاً أن الحائض تقضى الصيام ولا تقضى الصلاة .

وأخاطب نساء اليوم فأقول : إن الله وضع عن المرأة إذا حاضت الصيام ولكن عليها إذا طهرت أن تصوم ، وأن حكم النفساء هو حكم الحائض سواء بسواء ، متى طهرت عليها الصوم .

عن أم سلمة قالت : كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً ... (أخرجه الترمذى) .

قال الترمذى : وقد أجمع أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوماً إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فإنها تغتسل وتصلى فإذا رأت الدم بعد الأربعين فإن أكثر أهل العلم قالوا لا تدع الصلاة بعد الأربعين وهو قول أكثر الفقهاء ، وبه يقول سفيان وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحاق . ويروى عن الحسن البصرى أنه قال إنها تدع الصلاة خمسين يوماً إذا لم تر الطهر . ويروى عن عطاء بن أبى رباح والشعبى ستين يوماً .

وقال ابن العربى : النفساء اسم الوالدة . (أحكامه) قال أبو حنيفة أكثر النفاس أربعون يوماً ، وقال الحسن البصرى أكثره خمسون يوماً ، وقال مالك

والشعبي وعطاء والشافعي أكثره ستون يوماً لما وجدوا ذلك مطرداً ، فلما سمع مالك بأن هنالك من ينفس سبعين يوماً رجع فقال يسأل النساء عن ذلك ، فأحال على عادة البلاد والأشخاص . فكل تكلم على ما وجد ، حتى علموا أن الرحم يقبض على الولد فيحتقن الدم فإذا خرج الولد زال الحقن واسترسل الولد من تجاويف الأعضاء ومخازن البدن ، فقد تنقض مدته وقد تطول ، وقد يستحيل فيولد دون دم . وقد روى أن امرأة ولدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دون دم فسميت ذات الجفوف .

ومعلوم أن المرأة متى انقطع دمها من حيض أو نفاس واغتسلت ، فقد حل لها أن تؤدى الصلاة .

وما ينطبق على الصلاة ينطبق على الصوم .

فالتى تحل لها الصلاة يحل لها الصوم، والتى لاتحل لها الصلاة لايحل لها الصوم .

وذلك كله فى هذه الحالة بالذات .

قضاء الصوم عن الميت

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول إن أمى ماتت وعليها صوم شهر افأقضيه عنها قال نعم قال فدين الله أحق أن يقضى . (أخرجه البخارى)

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة فقالت إنى تصدقت على أمى بجارية وإنها ماتت قال فقال وجب أجرك وردها عليك الميراث قالت

يارسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها قال صومى عنها قالت إنها لم تحج قط أفأحج عنها قال حجى عنها . (أخرجه مسلم)

قال النووى : اختلف العلماء فيمن مات وعليه صوم واجب من رمضان أو قضاء أو نذر أو غيره هل يقضى عنه ؟

وللشافعى فى المسألة قولان مشهوران أشهرهما لا يصام عنه ولا يصح عن ميت صوم أصلا . والثانى يستحب لوليه أن يصوم عنه ويصح صومه عنه ويبرأ به الميت ولا يحتاج إلى إطعام عنه ، وهذا القول هو الصحيح المختار الذى نعتقده ، وهو الذى صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة .

وذهب الجمهور إلى أنه لايصام عن ميت لانذر ولا غيره ، حكاه ابن المنذر عن ابن عمر وابن عباس وعائشة ... وبه قال مالك وأبو حنيفة .

قال القاضى عياض وغيره هو قول جمهور العلماء وتأولوا الحديث على أنه يطعم عنه وليه .

متى يحل فطر الصائم وعلام يفطر ؟

عن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم . (أخرجه البخارى)

« إذا أقبل الليل من ههنا » أى من جهة المشرق .

« وأدبر النهار من ههنا » أى من جهة المغرب .

« فقد أفطر الصائم » أى دخل في وقت الفطر ، أى فليفطر الصائم .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من وجد تمراً فليفطر عليه ومن لا فليفطر على ماء فان الماء طهور . (الترمذى)

يفطر الصائم بأى شيء يتهيأ ويتيسر عليه سواء كان بالماء أو بغيره .

* * *

على أن أجمل ما فى الأمر ساعة الافطار ليس هو الانكباب على الطعام ، وإنما هو أن يدعو الصائم أحد الصائمين ليفطر معه .

عن زيد بن خالد الجهنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً .

(أخرجه الترمذى)

فهل آن للذين يتشاغلون عن تلك المعانى السامية بالنهام مالذ وطاب مما أعد لهم على الموائد ، أن يتذكروا توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

تعجيل الإفطار

عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر . (أخرجه البخارى)

قال المهلب : الحكمة فى ذلك أن لا يزاد فى النهار من الليل ، ولأنه أرفق للصائم ، وأقوى له على العبادة .

واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية ، أو باخبار عدلين ، وكذا عدل واحد فى الأرجح عند الشافعية .

وقال ابن دقيق العيد : فى هذا الحديث رد على الشيعة فى تأخيرهم الفطر إلى ظهور النجوم .

وعن أنس قال « مارأيت النبي صلى الله عليه وسلم قط صلى للغرب حتى يفطر ولو كان على شربة من ماء » .

(رواه أبو يعلى فى مسنده وإسناده جيد) .

صوم الصبيان

عن الربيع بنت معوذ قالت أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم قالت فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار .
(أخرجه البخارى)

« إلى قرى الأنصار » التى حول المدينة .

« صبياننا » زاد مسلم (الصغار ونذهب بهم إلى المسجد) .

« فيصم » أى فليستمر على صومه .

« كنا نصومه » أى نصوم عاشوراء .

« اللعبة » لعب البنات .

« العهن » الصوف المصبوغ .

قال القرطبي : وصنيع اللعب من العهن وهو الصوف الأحمر لصوم الصبيان ، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم بذلك ، وبعيد أن يكون أمر بذلك لأنه تعذيب صغير بعبادة شاقة غير متكررة فى السنة .

وقال عمر رضى الله عنه لنشوان في رمضان : ويلك وصبياننا صيام ، فضربه .
(أخرجه البخارى)

« لنشوان » أى لرجل سكران . وفى رواية البغوى « فلما رفع إليه عثر فقال عمر على وجهك ويحك وصبياننا صيام ثم أمر فضرب ثمانين سوطاً ثم سيره إلى الشام » .

« صيام » جمع صائم . وإنما كانوا يصومونهم لأجل التمرين ليتعودوا بذلك ويكونوا على نشاط بذلك بعد البلوغ .

والآن هل يشرع صوم الصبيان أم لا ؟

والجمهور على أنه لا يجب على من دون البلوغ .

واستحب جماعة من السلف منهم ابن سيرين والزهرى وبه قال الشافعى أنهم يؤمرون به للتمرين عليه إذا أطاقوه ، وحد ذلك عند أصحاب الشافعى بالسبع والعشر كالصلاة ، وعند اسحاق حده اثنتى عشرة سنة ، وعند أحمد فى رواية عشر سنين .

وقال الأوزاعى : إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعا لا يضعف فهن حمل على الصوم .

والمشهور عند المالكية أنه لا يشرع فى حق الصبيان .

وقال ابن بطال : أجمع العلماء أنه لا تلزم العبادات والفرائض إلا عند البلوغ

إلا أن أكثر العلماء استحسنوا تدريب الصبيان على العبادات رجاء البركة ، وأنهم يعتادونها فتسهل عليهم إذا ألزمهم ، وأن من فعل ذلك بهم مأجور .

وفى الأشراف « اختلفوا فى الوقت الذى يؤمر فيه الصبي بالصيام فكان ابن سيرين والحسن والزهرى وعطاء وعروة وقتادة والشافعى يقولون : يؤمر به إذا أطاقه » .

ونقل عن الأوزاعى مثل ماذكرنا الآن .

وقال أشهب : يستحب لهم إذا أطاقوه .

وقال عروة : إذا أطاقوا الصوم وجب عليهم ، قال عياض : وهذا غلط يرده قوله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة » فذكر الصبي حتى يحتلم وفى رواية « حتى يبلغ »

والآن هل يشرع صوم الصبيان أم لا ؟ .

رأى الجمهور أنه لا يجب على من دون البلوغ . وهناك آراء أخرى ، فانظر أيها أقرب إلى طبيعة أطفالك ، واختر منها ما يعودهم على الطاعة من صغرهم .

صيام النبى صلى الله عليه وسلم فى غير رمضان

عن عبد الله بن شفيق قال قلت لعائشة رضى الله عنها : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شهراً كله ؟ قالت : ما علمته صام شهراً كله إلا رمضان . ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله صلى الله عليه وسلم . (أخرجه مسلم)

عن أبي سلمة قال : سألت عائشة رضي الله عنها عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان يصوم حتى نقول قد صام ، ويفطر حتى نقول قد أفطر ، ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان إلا قليلا . (أخرجه مسلم)

قال النووى : فى هذه الأحاديث أنه يستحب أن لايخلى شهرا من صيام . وفيها أن صوم النفل غير مختص بزمان معين ، بل كل السنة صالحة ، إلا رمضان ، والعيد والتشريق .

أما عن النبى صلى الله عليه وسلم فانه لم يصم الدهر ولا قام الليل كله ، وإنما ترك ذلك لئلا يقتدى به فيشق على الأمة ، وإن كان قد أعطى من القوة مالو التزم ذلك لاقتدر عليه ، لكنه سلك من العبادة الطريقة الوسطى ، فصام وأفطر ، وأقام ونام .

النهى عن صوم الدهر

وتفضيل صوم يوم وإفطار يوم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة قال فإما ذكرت للنبى صلى الله عليه وسلم وإما أرسل إلى فأتيته . فقال لى : ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ فقلت : بلى يانبى الله ولم أرد بذلك إلا الخير . قال : فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام . قلت : يانبى الله إنى أطيق أفضل من

ذلك . قال : فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً . قال : فصم صوم داود نبى الله « صلى الله عليه وسلم » فإنه كان أعبد الناس . قال قلت : يانبى الله وما صوم داود ؟ . قال : كان يصوم يوماً ويفطر يوماً . قال : واقرإ القرآن فى كل شهر . قال قلت : يانبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : فاقرأه فى كل عشرين . قال قلت : يانبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : فاقرأه فى كل عشر . قال قلت : يانبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : فاقرأه فى كل سبع ولا تزد على ذلك ، فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً . قال : فشددت فشدد على . قال : وقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : إنك لاتدرى لعلك يطول بك عمر . قال : فصرت إلى الذى قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما كبرت وددت أنى كنت قبلت رخصة نبى الله صلى الله عليه وسلم . (أخرجه مسلم)

« فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » يكفيك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام .

« وددت أنى كنت قبلت رخصة نبى الله صلى الله عليه وسلم » معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه فعله ولا يمكنه تركه . وفى هذا الحديث أنه ينبغى الدوام على ما صار عادة من الخير ولا يفرط فيه .

وأما صوم الدهر فقد اختلف العلماء فيه .

فذهب أهل الظاهر إلى منعه لظاهر أحاديث النهى عن ذلك .

وذهب جماهير العلماء إلى جوازه إذا لم يصم الأيام المنهى عنها كالعيدين والتشريق ، وهو مذهب الشافعى بغير كراهة بل هو مستحب .

وكان جماعة من الصحابة يسردون الصوم منهم عمر بن الخطاب ، وابنه عبدالله ابن عمر ، وعائشة ، وأبو طلحة ، وأبو أمامة .

فإن قلت : ما الفرق بين صيام الوصال وصيام الدهر ؟ .

قلت : هما حقيقتان مختلفتان .

فإن من صام يومين أو أكثر ولم يفطر ليلتهما فهو مواصل ، وليس هذا صوم الدهر .

ومن صام عمره وأفطر جميع لياليه هو صائم الدهر ، وليس بمواصل ، والله أعلم بالصواب .

استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر

عن أبى قتادة رجل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى عمر رضى الله عنه غضبه قال : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، جعل عمر رضى الله عنه يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه ، فقال عمر : يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ . قال : لاصام . ولاأفطر — أوقال : لم يصم ولم يفطر — قال : كيف من يصوم يومين ويفطر يوما ؟ . قال : ويُطيق ذلك أحد ؟ قال : كيف من يصوم يوماً ويفطر يوماً ؟ . قال : ذاك صوم داود « عليه السلام » . قال : كيف

من يصوم يوما ويفطر يومين ؟ قال : وددت أنى طوقت ذلك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله . صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده ، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله . (أخرجه مسلم)

« رجل أتى النبى صلى الله عليه وسلم » أى الشأن والأمر رجل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال

« فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم » قال العلماء سبب غضبه صلى الله عليه وسلم أنه كره مسألته لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة ، وهى أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر عليه وكان يقتضى حاله أكثر منه ، وإنما اقتصر عليه النبى صلى الله عليه وسلم لشغله بمصالح المسلمين وحقوقهم وحقوق أزواجه وأضيافه والوافدين إليه لئلا يقتدى به كل أحد فيؤدى إلى الضرر فى حق بعضهم ، وكان حق السائل أن يقول : كم أصوم أو كيف أصوم ؟ . فيخص السؤال بنفسه ليجيبه بما يقتضيه حاله : كما أجاب غيره بمقتضى أحوالهم والله أعلم .

« كيف من يصوم يوما ويفطر يومين قال وددت أنى طوقت ذلك » قال القاضى قيل معناه وددت أن أمتى تطوقه لأنه صلى الله عليه وسلم كان يطيقه وأكثر منه وكان يواصل ويقول إنى لست كأحدكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى . قلت ويؤيد هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم فى الرواية الثانية ليت أن الله قوانا لذلك . أو يقال إنما قاله لحقوق نسائه وغيرهن من المسلمين المتعلقين به والقاصدين إليه .

« صيام يوم عرفه احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده».
معناه يكفر ذنوب صائمه فى السنتين . قالوا والمراد بها الصغائر وسبق بيان مثل هذا فى تكفير الخطايا بالوضوء ، وذكرنا هناك أنه إن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر ، فإن لم يكن رفعت درجات .

واختلفوا فى تعيين هذه الأيام الثلاثة المستحبة من كل شهر وحاصل الخلاف فى المسألة تسعة أقوال .

أحدها استحباب صوم ثلاثة أيام من الشهر غير معينه فأما تعيينها فمكروه . وهو المعروف من مذهب مالك ، حكاه القرطبى .

الثانى استحباب الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر (وهى الأيام البيض أى التى لياليهن مقمرات لاظلمة فيها ، ليلة البدر وما قبلها وما بعدها) وهو قول أكثر أهل العلم . وبه قال عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبو ذر وآخرون من التابعين والشافعى وأصحابه وابن حبيب من المالكية وأبو حنيفه وصاحباه وأحمد وإسحاق .

الثالث استحباب الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر حكى ذلك عن قوم .

الرابع استحباب ثلاثة من أول الشهر ، وبه قال الحسن البصرى .

الخامس استحباب السبت والأحد والاثنين من أول شهر . ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس من أول الشهر الذى بعده ، وهو اختيار عائشة رضى الله عنها فى آخرين .

السادس استحبابها من آخر الشهر . وهو قول إبراهيم النخعى .

السابع استحبابها فى الاثنين والخميس .

الثامن استحباب أول يوم الشهر والعاشر والعشرين ، وروى ذلك عن أبى الدرداء .

التاسع استحباب أول يوم والحادى عشر والعشرين وهو اختيار أبى اسحاق بن شعبان من المالكية .

* * *

والآن أيها الصائم الكريم ، لقد استفاض أمامك الأمر ، وتجلى لك التوجيه وانبسط أمامك فقه الإرشاد النبوى .

والمطلوب بعد ذلك كله ، أن تخرج بنتيجة واحدة ، هى أن لا تدع شهراً يمر عليك بعد رمضان بغير صيام .

وأن صيام ١٣ و١٤ و١٥ من كل شهر قد يكون من أحسن العادات التى تعتادها دائما .

وإن شئت أسلوبا آخر من الأساليب التى عرضت عليك فإن فى الأمر سعة .

النهى عن صوم يوم الجمعة منفرداً

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده . (أخرجه البخارى)

« لا يصومن » المراد به النهى .

« إلا يوماً قبله » إلا أن يصوم يوماً قبله .

« أو بعده » أو أن يصوم يوماً بعده .

ويؤخذ من الاستثناء جوازه لمن صام قبله أو بعده ، أو اتفق وقوعه فى أيام له عادة يصومها ، كمن يصوم أيام البيض ، أو من له عاده يصوم يوم معين كيوم عرفة فوافق يوم الجمعة .

* * *

عن جويرية بنت الحارث رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهى صائمة فقال : أصمت أمس ؟ . قالت : لا . قال : تريدين أن تصومين غداً ؟ قالت : لا . قال : فأفطرى . (أخرجه البخارى) .

« جويرية » تصغير الجارية ، كان اسمها برة ، وسماها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، وهى من سبايا بنى المصطلق ، وتزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بها .

وأما حكم المسألة فاختلفوا فى صوم يوم الجمعة على خمسة أقوال :

أحدها كراهته مطلقاً .

الثانى إباحته مطلقاً .

الثالث أنه يكره افراده بالصوم فإن صام يوماً قبله أو بعده لم يكره .

الرابع أن النهى إنما هو عن تحريه واقتصاصه دون غيره ، فإنه متى صام مع صومه يوماً غيره فقد خرج عن النهى ، لأن ذلك اليوم قبله أو بعده إذ لم يقل اليوم الذى يليه .

الخامس أنه يحرم صوم يوم الجمعة إلا لمن صام يوماً قبله أو يوماً بعده أو وافق عادته بأن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً فوافق يوم الجمعة صيامه .

ثم اعلم أنهم اختلفوا أيضاً فى الحكمة فى النهى عن صوم يوم الجمعة مفرداً على أقوال .

الأول ما قاله الدوى عن العلماء أنه يوم دعاء وذكر وعبادة من الغسل والتبكير إلى الصلاة وانتظارها واستماع الخطبة وإكثار الذكر بعدها لقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) وغير ذلك من العبادات فى يومها ، فاستحب الفطر فيه ليكون أعون له على هذه الوظائف ، وأدائها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سآمة .

الثانى هو كونه يوم عيد والعيد لا صيام فيه .

الثالث لأجل خوف المبالغة فى تعظيمه فيفتتن به كما افتتن اليهود بالسبت .

الخامس خشية أن يفرض عليهم كما خشى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيام الليل .

واعلم فى هذا البيان الكفاية .

هل يخص شيئاً من الأيام ؟

عن علقمة قلت لعائشة رضى الله عنها : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص من الأيام شيئاً ؟ . قالت : لا . كان عمله ديمة ، وأيكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق ؟ (أخرجه البخارى)

معناه أنه كان لا يخص شيئاً من الأيام دائماً ولا راتباً ، إلا أنه كان أكثر صيامه فى شعبان ، وقد حض على صوم الاثنين والخميس ، لكن كان صومه على حسب نشاطه ، فربما وافق الأيام التى رغب فيها ، وربما لم يوافقها .

ونقل ابن التين عن بعض أهل العلم أنه يكره أن يتحرى يوماً من الأسبوع بصيام لهذا الحديث .

« ديمة » أى دائماً لا ينقطع .

النهى عن صوم يوم الفطر والنحر

عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الفطر والنحر . . . (أخرجه البخارى)

« يوم الفطر » أول يوم من عيد الفطر .

« يوم النحر » أول يوم من عيد الأضحى .

وقال الشافعى وزفر وأحمد : لا يصح صوم يومى العيدين ولا النذر بصومهما، وهو رواية أبي يوسف وابن المبارك عن أبي حنيفة .

ما أجمل ماشرع الله لنا ! .

إذا مضى رمضان ، وأصبح العيد ، تاقت النفس إلى الانطلاق فرحة بتحررها من قيود الصيام ، فناسب ذلك التخفيف عن الناس ، فحرم الله صيام ذلك اليوم لتتم بهجة العيد ، وينطلق الناس يفرحون بما أحل الله لهم .

كذلك إذا أصبح عيد النحر ، عيد الأضحية ، ناسب ذلك أن يأكل الإنسان من أضحيته ، وأن يتبحبح فى سعة من العيد ، فمن اللازم إذاً فى هذه الحال تحريم صيام ذلك اليوم .

التراويح

ما هى صلاة التراويح ؟

التراويح جمع ترويحة ، والترويحة فى الأصل إسم للجلسة وسميت بالترويحة لاستراحة الناس بعد أربع ركعات بالجلسة ، ثم سميت كل أربع ركعات ترويحة مجازا لما فى آخرها من الترويحة .

والآن كيف كان صلى الله عليه وسلم يقوم الليل فى رمضان ؟ أوماهى الكيفية التى كان صلى الله عليه وسلم يحيي بها ليالى رمضان ؟ .

وما هو فضل من قام رمضان ؟ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرمضان من قامه إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .
(أخرجه البخارى)

« يقول لرمضان » أى لفضل رمضان ، أو لأجل رمضان .

« إيماناً » أى تصديقاً بأنه حق . أى معتقداً فضيلته قاله النووى .

« واحتسابا » أى طلباً للاخرة . وقال الخطابى أى نية وعزيمة

«غفر له ما تقدم من ذنبه» ظاهره يتناول كل ذنب من الكبائر والصغائر ، وبه قطع ابن المنذر .

وقال النووى : المعروف أنه يختص بالصغائر ، وبه قطع أمام الحرمين : وقال القاضى عياض . هو مذهب أهل السنة .

* * *

عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أنه سأل عائشة رضى الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فقالت ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيرها على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثاً . فقلت : يارسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ قال : ياعائشة إن عينى تنامان ولا ينام قلبى . (أخرجه البخارى)

« فى رمضان » أى فى ليالى رمضان .

« فلا تسل عن حسنهن » معناه هن فى نهاية من كمال الحسن والطول مستغنيات لظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنهن والوصف .

« أربعاً » أى أربع ركعات .

« إن عينى تنامان ولا ينام قلبى » فيه انه صلى الله عليه وسلم لا ينتقض وضوؤه بالنوم لكون قلبه لاينام وهذا من خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

* * *

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال : أما بعد فانه لم يخ ف

على مكانكم ولكنى خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك . (أخرجه البخارى)

« فصلى فى المسجد » أى صلى صلاة الليل فى ليلة من ليالى رمضان .

« أن تفترض عليكم » أى بأن تفرض عليكم صلاة الليل . فدلت هذه على أن عدم خروجه صلى الله عليه وسلم إليهم كان للخشية عن فرضية هذه الصلاة لا لعلة أخرى .

* * *

وفى التراويح اختلف العلماء هل الأفضل الجماعة أو الانفراد ؟ .

فذهب الليث بن سعد وعبد الله بن المبارك وأحمد وإسحاق إلى أن قيام التراويح مع الإمام فى شهر رمضان أفضل منه فى المنازل ، وقال به قوم من المتأخرين من أصحاب أبى حنيفة وأصحاب الشافعى .

وذهب مالك والشافعى وربيعة إلى أن صلاته فى بيته أفضل من صلاته مع الإمام ، وهو قول إبراهيم والحسن البصرى والأسود وعلقمة .

هذا والكلام فى التراويح على أنواع .

١ — وقتها :

هو بعد صلاة العشاء إلى آخر الليل قبل الوتر وبعده . والأفضل أن تصلى قبل الوتر وبعد سنة العشاء ، وهو قول الجمهور .

٢ — حكم صلاة التراويح :

هى سنة مؤكدة اتفاقاً للرجال والنساء .

٣ — عدد ركعات التراويح

هى عشرون ركعة ، المسنون منها ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم وهو ثمانى ركعات ، والزائد مستحب .

قال ابن عبد البر : وهو قول جمهور العلماء وهو الاختيار عندنا وعدوا ما وقع فى زمن عمر رضى الله عنه كالإجماع .

٤ و ٥ — مكان التراويح والجماعة فيها .

الأفضل صلاتها فى المسجد جماعة .

قال الجمهور ومنهم الحنفيون والشافعى وأحمد وبعض المالكية : الأفضل صلاة التراويح جماعة فى المسجد .

وقد أمر به عمر رضى الله عنه واستمر عليه عمل الصحابة وسائر المسلمين وصار من الشعائر الظاهرة كصلاة العيد .

والمشهور عن مالك وأبى يوسف وبعض الشافعية أن الأفضل صلاتها فرادى فى البيت إن لم تعطل المساجد .

٦ — القراءة فى التراويح .

الأفضل أن يقرأ فيها كلّ القرآن فى جميع الشهر ، فيقرأ فى كل ليلة نحو جزء من ثلاثين ، ولا يترك ذلك لكسل القوم .

* * *

هذه خلاصة تعتبر أول من القليل فى أمر صلاة التراويح وحكمها ووقتها وعدد ركعاتها ومقدار القراءة فيها . أوردناها مستخلصة من كتب الفقه ، لا على أنها تمثل مذهبا بالذات ، أو تلزم أى إنسان بالتعبد بها ، ولكن على

أنها تعطى فكرة سريعة عن الموضوع .

أما تفصيل الأحكام ، ورأى المذاهب ، والخلاف فى ذلك ، فمن شاء البيان فليرجع إلى كتب الفقه ، حيث لا مجال هنا للتفصيل .

وإنما المهم هنا أن النبى صلى الله عليه وسلم سن لأصحابه قيام رمضان ، وبشرهم أن من قامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه .

وأنه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة يصلى ، فصلى الناس بصلاته ، ثم أصبحوا فأخبر بعضهم بعضا بذلك ، فتكاثروا من الغد ثم صلوا بصلاته عليه الصلاة والسلام ، فلما كانت الليلة الثالثة تكاثروا أكثر فأكثر ، فلما كانت الرابعة ضاق المسجد بهم ، وكل ذلك لحبهم له صلى الله عليه وسلم ، وحرصهم على الصلاة خلفه . فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، لم يخرج إليهم ، حتى خرج لصلاة الفجر وصلى بهم الفجر ، ثم بين لهم بعد الصلاة أنه لم يخف عليه انتظارهم له ولكنه خشى أن يكون إدامته للصلاة بهم سبباً فى فرضها عليهم .

ومن هنا نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سن صلاة التراويح فى جماعة ، وباشر ذلك بنفسه عليه الصلاة والسلام أياماً من رمضان .

وقد ظل الحال على ذلك فى خلافه أبى بكر رضى الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنه .

يصلى الرجل التراويح لنفسه فى المسجد ، أو يجتمع عليه الرهط يصلون بصلاته .

ثم خرج عليهم عمر رضى الله عنه ليلة فى رمضان إلى المسجد ، وكان وقتئذ

أمير المؤمنين ، فوجدهم على هذه الحال ، فجمعهم على قارىء واحد وقال : إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، فجمعهم على أبى بن كعب .

ومن يومها حتى هذه الساعة ، والتراويح قد استقرت على ذلك ، وأخذت هذا الطابع الذى اشتهر بين الناس ، من الاجتماع على إمام واحد يصلى بهم .

عن عبد الرحمن بن عبد القارى أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه فيصلى بصلاته الرهط فقال عمر إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه والتى ينامون أفضل من التى يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله . (أخرجه البخارى)

لقد كان عمر رضى الله عنه فى ذلك يهتدى بما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه الأيام التى صلى بهم فيها التراويح .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان ليله فيه أشياء أخرى غير التراويح حيث لم يكن قيام الليل جديداً بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم ، فهو شىء مفروض عليه دائماً منذ بعثه الله سبحانه .

وإنما الجديد بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم في رمضان ، هو ما سبق أن ذكرناه ، هو التقاؤه بجبريل عليه السلام كل ليلة من ليالى رمضان ، يدارسه القرآن ، ويقرأ عليه القرآن .

ليلة القدر

قال تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ماليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » . (القدر ١ — ٥)

« إنا أنزلناه » أى القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فوضعناه فى بيت العزة وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ، ثم كان ينزله جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم نجوماً ، فكان بين أوله إلى آخره ثلاثة وعشرون سنة .

« فى ليلة القدر » سميت بذلك لخطرها وشرفها . وعن الزهرى هى ليلة العظمة والشرف . (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق عظمته . وقيل سميت بذلك لأن من لم يكن ذا قدر وخطر يصير فى هذه الليلة ذا قدر وخطر إذا أدركها وأحياها . وقيل لأن كل عمل صالح يوجد فيها من المؤمن يكون ذا قدر وقيمة عند الله لكونه مقبولا فيها . وقيل لأنه أنزل فيها كتاب ذو قدر .

« وما أدراك ما ليلة القدر » يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها وفيه من الدلالة على أن علوها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يعلم ذلك ولا يعلم به إلا علام الغيوب .

« ليلة القدر خير من ألف شهر » وخيريتها من ألف شهر باعتبار العبادة عند الأكثرين ، على معنى أن العبادة فيها خير من العبادة فى ألف شهر ، ولا يعلم

مقدار خيريتها منها إلا هو سبحانه وتعالى ، وهذا تفضل منه تعالى ، وله عز وجل أن يخص ما شاء بما شاء ، ورب عمل قليل خير من عمل كثير .

وتخصيص الألف بالذكر قيل إما للتكثير كما فى قوله تعالى (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) وكثيراً ما يرد بألا عداد ذلك ، وفى البحر حكاية أن المعنى عليه خير من الدهر كله .

أو لما روى فى أسباب النزول من أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف عليه الصلاة والسلام أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم ، وذكره الأمام مالك فى الموطأ .

وروى عن كعب أنه قال أن الله تعالى اختار الساعات فاختار ساعات أوقات الصلاة ، واختار الأيام فاختار يوم الجمعة ، واختار الشهور فاختار شهر رمضان ، واختار الليالى فاختار ليلة القدر ، فهى أفضل ليلة فى أفضل شهر .

وعن ابن عباس تفكر النبي صلى الله عليه وسلم فى أعمار أمته وأعمار الأمم السالفة فأنزل الله هذه السورة ، وخص هذه الأمة بتضعيف الحسنات لقصر أعمارهم .

ويقال إن الرجل فيما مضى كان لا يستحق أن يقال له فلان عابد حتى يعبد الله ألف شهر ، وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر فجعل الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ليلة خيراً من ألف شهر كانوا يعبدون فيها .

وقيل معناه عمل صالح فى ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

« تنزل الملائكة والروح فيها » الروح عند الجمهور هو جبريل عليه السلام وخص بالذكر لزيادة شرفه مع أنه النازل بالذكر .

والظاهر الذى تشهد له الأخبار أن النزل إلى الأرض . وقيل ينزلون إليها للتسليم على المؤمنين .

وقيل أن المراد بالملائكة عليهم السلام جميعهم ، واستشكل بأن لهم كثرة عظيمة لا تتحملها الأرض وكذا السماء الدنيا ، لأنها قبل نزولهم مملوءة ، وأجيب بأنهم ينزلون فوجاً فوجاً فمن نازل وصاعد ، كالحجاج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة مثلا بأسرهم ، لكن لا على وجه الاجتماع ، بل هم بين داخل وخارج . وفى التعبير بتنزل المفيد للتدريج دون نزل رمز إليه .

وقيل أنهم لكونهم أنواراً لا تزاحم بينهم .

وقيل أن جميع ملائكة سدرة المنتهى تنزل مع جبريل عليهم السلام ، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وأن جبريل عليه السلام لا يدع أحداً من الناس إلا صافحه وأن علامة مصافحته عليه السلام اقشعرار الجلد ورقة القلب ودمع العينين .

« بإذن ربهم » أى بأمره عز وجل . والتقييد بذلك لتعظيم أمر تنزلهم وقيل الاشارة إلى أنهم يرغبون فى أهل الأرض من المؤمنين . ويشتاقون إليهم ، فيستأذنون فيؤذن لهم ، وفيه نوع ترغيب فى الاجتهاد فى الطاعة . وقيل ليجتمعوا مع من بينه وبينهم مناسبة من الصديقين ، أداء لمراسم المحبة ، فإن أرواح الصديقين المتحررة من جلابيب الأبدان لم تزل تزور الملائكة عليهم السلام فى مواضعهم بعروجها إليهم ، فناسب أن تزورهم الملائكة عليهم السلام فى زواياهم .

« من كل أمر » أى تنزل من أجل كل أمر قضاه الله وقدره فى تلك السنة

قال العلماء وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التى تكون في تلك السنة كقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم وكل ذلك مما سبق علم الله تعالى به وتقديره له .

وقال أبو حاتم من معنى الباء أى تنزل بكل أمر فقبل أى من الخير والبركة .

« سلام هى » أى ما ليلة القدر إلا سلامة وخير كلها ليس فيها شر .

وقال الضحاك : لا يقدر الله فى تلك الليلة إلا السلامة كلها ، فأما الليالى الأخر فيقضى فيهن البلاء والسلامة .

وقيل : هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر .

وقيل ما هى إلا سلامة على نحو ما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة ، والمراد أنها سبب تام للسلامة والنجاة من المهالك يوم القيامة ، حيث أن من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

« حتى مطلع الفجر » على معنى أنه لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى وقت طلوع الفجر .

وليلة القدر عند الصوفية ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه .

فضل ليلة القدر

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . (أخرجه البخارى)

واعلم أنه يسن الدعاء فى هذه الليلة المباركة وهى أحد أوقات الإجابة .

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قلت : يارسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ . قال : قولى اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى . (أخرجه الترمذى)

ويجتهد فيها بأنواع العبادات من صلاة وغيرها .

وقال سفيان الثورى : الدعاء فى تلك الليلة أحب من الصلاة .

ثم أفاد أنه إذا قرأ ودعا كان حسناً .

وكان صلى الله عليه وسلم يجتهد فى ليالى شهر رمضان ، ويقرأ فيها قراءة مرتلة لا يمر بآية رحمة إلا سأل ، ولا بآية عذاب إلا تعوذ .

وذكر ابن رجب أن الأكمل يجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك كله ، لاسيما فى العشر الأواخر .

ويحصل قيامها على ما قال البعض بصلاة التراويح

التمسوها فى العشر الأواخر

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوها فى العشر الأواخر » يعنى ليلة القدر » . (أخرجه مسلم)

وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان ملتمسها فليلتمسها فى العشر الأواخر . (أخرجه مسلم)

قال القاضى : واختلفوا فى محلها فقال جماعة هى متنقلة تكون فى سنة فى ليلة وفى سنة أخرى فى ليلة أخرى وهكذا ، وبهذا يجمع بين الأحاديث ، ويقال كل حديث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها .

قال : ونحو هذا قول مالك والثورى وأحمد واسحاق وأبى ثور وغيرهم ، قالوا وإنما تتنقل فى العشر الأواخر من رمضان .

وقيل بل فى كله .

وقيل إنها معينة فلا تنتقل أبداً بل هى ليلة معينة فى جميع السنين لا تفارقها .

وعلى هذا قيل فى السنة كلها . وهو قول ابن مسعود وأبى حنيفة وصاحبيه .

وقيل بل فى شهر رمضان كله ، وهو قول ابن عمر وجماعة من الصحابة .

وقيل بل فى العشر الأوسط والأواخر .

وقيل فى العشر الأواخر .

وقيل تختص بأوتار العشر .

وقيل بأشفاعها .

وقيل بل فى ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين ، وهو قول ابن عباس .

وقيل تطلب فى ليلة سبع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين ، وحكى عن على وابن مسعود .

وقيل ليلة ثلاث وعشرين . وهو قول كثيرين من الصحابة وغيرهم .

وقيل ليلة أربع وعشرين ، وهو محكى عن بلال وابن عباس والحسن وقتاده .

وقيل ليلة سبع وعشرين ، وهو قول جماعة من الصحابة .

وقيل سبع عشرة ، وهو محكى عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً .

وقيل آخر ليلة من الشهر

قال ابن عباس دعا عمر رضى الله تعالى عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا على أنها فى العشر الأواخر ، قال ابن عباس لعمر إنى لأعلم أو أظن أى ليلة هى ، قال عمر رضى الله تعالى عنه : أى ليلة هى ؟ . فقلت سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الأواخر . فقال : من أين علمت ذلك ؟ . قلت : خلق الله سبع سماوات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، والدهر يدور فى سبع ، والإنسان خلق من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف والجمار وأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له .

لقد جمع عمر رضى الله عنه الصحابة يسألهم عن ليلة القدر ومتى تكون ، فبرز ابن عباس ، واستخرج هذا المخرج ، واستنتج هذا الاستنتاج

ومن ذلك كله يعلم أنها لا تعلم لكن النبى عليه السلام قد خص على رمضان ،

وخص بالتخصيص العشر الأواخر ، وأنها أرجى ما تكون فى الوتر من العشر الأواخر . أى فى الليالى الفردية وهى ٢١ و٢٣ و٢٥ و٢٧ و٢٩ من رمضان .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تحرّوا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان .

(أخرجه البخارى)

« تحروا » اطلبوا باجتهاد .

علامات ليلة القدر

عن عبدة وعاصم بن أبى النجود سمعا زر بن حبيش يقول سألت أبى بن كعب رضى الله عنه فقلت إن أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال رحمه الله أراد أن لا يتكل الناس أما إنه قد علم أنها فى رمضان وأنها فى العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين فقلت بأى شىء تقول ذلك يا أبا المنذر قال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها . (أخرجه مسلم)

« أنها تطلع » أن الشمس تشرق صبيحة ليلة القدر .

« لا شعاع لها » قيل معنى لا شعاع لها أنها علامة جعلها الله تعالى لها . وقيل بل لكثرة اختلاف الملائكة فى ليلتها ونزولها إلى الأرض وصعودها بما تنزلت به سترت بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها

قال النووى : واعلم أن ليلة القدر موجودة كما سبق بيانه . فإنها ترى ويتحققها من شاء الله تعالى من بنى آدم كل سنة فى رمضان ... وأخبار الصالحين بها ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر .

الاجتهاد فى العشر الأواخر

عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله . (رواه البخارى)

« إذا دخل العشر » أى العشر الأواخر من رمضان .

« شد مئزره » أى إزاره وهو ما يأتزر به الرجل من أسفله . وهو كناية عن الجد والتشمير فى العبادة ، وعن النورى أنه من ألطف الكنايات عن اعتزال النساء .

وقال القرطبى : وقد ذهب بعض أئمتنا إلى أنه عبارة عن الاعتكاف .

فهو كناية إما عن ترك الجماع . وإما عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد لها زائد على ما هو عادته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإما عنها كليهما معاً

«وأحيا ليله» يعنى باجتهاده فى العشر الأواخر من رمضان ، لاحتمال أن يكون الشهر إما تاماً وإما ناقصاً ، فإذا أحيى ليالى العشر كلها لم يفته منها شفع ولا وتر .

وقيل لأن العشر آخر العمل فينبغى أن يحرص على تجويد الخاتمة .

ونسبة الأحياء إلى الليل مجاز ، وإذا سهر فيه للطاعة فكأنه أحياه لأن النوم

أخو الموت . وقال النووى وقولها «أحيي الليل» أى استغرقه بالسهر فى الصلاة وغيرها ، قال وفيه استحباب إحياء لياليه بالعبادات .

« وأيقظ أهله » أى للصلاة والعبادة .

وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيرها . (أخرجه الترمذى)

لقد كان صلى الله عليه وسلم من عادته دائماً قيام الليل حتى توفاه الله ، وكان ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم فرضاً لازماً ، لا فكاك منه ، لأن مقامه صلى الله عليه وسلم غير مقام أصحابه .

وكان هذا هو شأنه كذلك فى رمضان ، يقوم ليله ، ويحث أصحابه على قيام ليل رمضان .

إلا أنه صلى الله عليه وسلم ، كان يفعل فى العشر الأواخر ما لا يفعله في باقى الشهر .

كان يجتهد فيها ، ويتجه إلى الله بكليته ، ويوقظ زوجاته لذلك ، ليشتركن معه فى ذلك الخير .

وعلى كل منا كذلك أن يأتم بالرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الأمر .

على كل صائم أو صائمة ، إذا ما جاءت العشر الأواخر من رمضان ، أن ينشط للعبادة ، ويزيد القدر الذى كان عليه قبل ذلك .

وذلك كله ليكون أهلا لاستقبال رحمة الله ، وليكون أهلا للالتقاء بليلة القدر ، وليكون أهلا إذا دعا أن يستجيب له الله .

وإذا سألك عبادى عنى

فإنى قريب . . . .

قال تعالى « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » . (البقرة ١٨٦)

سبحانك ربى أنيت بآية تخص الدعاء وسط آيات الصوم لندرك أن هناك علاقة كبيرة بين الصوم والدعاء ، وهذه العلاقة يفسرها قوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث حق على الله أن لا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

فالصائم إذاً مستجاب الدعوة لأن أسباب الاستجابة توفرت لديه . إنه ترك طعامه وشرابه وفحشه فى النهار ، وقضى نهاره يسبحك ويكبرك ويعظمك ، فإذا جاء الليل أفطر وقام يصلى التراويح ، ويسجد لجلالك . فهو مهيأ بما شرعت له فى رمضان لأن يتصل بك ، وكيف يتصل بك إلا عن طريق قلبه الذى هو موضع نظرك . لقد صفا قلبه واستعد لأن تتجلى عليه برحمتك يا أرحم الراحمين ، فليكن إذاً لسانه ترجمان قلبه ، وليسألك فإنك أقرب إليه من حبل الوريد .

هذه هى المناسبة بين الدعاء والصوم ، ولذلك جاءت آية الدعاء بين آيات الصوم

« وإذا سألك عبادى عنى » جاء فى أسباب النزول أن المسلمين قالوا يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله الآية .

هذا سبب نزولها ولكنها عامة شاملة للجميع .

انظر إلى روعة الخطاب من رب العالمين إلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

« فإني قريب » القرب حقيقة في القرب المكاني المنزه عنه تعالى ، فهو استعارة لعلمه تعالى بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على سائر أحوالهم .

« أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول عبدي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني ؟ فيقول نعم يا رب ، فيقول أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجبت لك أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟ فيقول نعم يا رب . فيقول إني عجلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً ؟ قال نعم يارب ، فيقول إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا ، ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها ؟ فيقول نعم يا رب . فيقول فإني عجلتها لك في الدنيا ، ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ؟ فيقول نعم يا رب ، فيقول إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا وإما أن يكون ادخر له في الآخرة ، قال فيقول المؤمن في ذلك المقام يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعائه . (الحاكم)

وكذلك بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرار إجابة الدعاء .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذا نكثر قال الله أكثر .

(أحمد وغيره)

يفهم من ذلك أن الله يجيب دعوة الداع إذا دعاه ، وأنه سبحانه يجعل الإجابة كيف يشاء ، إما يعجلها ، وإما يؤجلها ، وإما يمنحه عوضاً عنها .

« فليستجيبوا لى » أى فليستجيبوا لى فيما أمرتهم به وما نهيتهم عنه ، أى فليطيعونى ، ومتى أطاعونى كانوا ربانيين إذا دعانى أحدهم أجبته ، وإذا سأل أعطيته .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه .

(الترمذى)

فلابد أن يصدر دعاؤك عن قلب مؤمن بالله موقن أن الله يستجيب هذا الدعاء وإلا فلا إجابة ولا استجابة .

وهذه اليقظة القلبية ، وهذا اليقين بالله الذى هو شرط إجابة الدعاء ، لا يتأتى لك إلا بطاعتك له ، إلا بالاستجابة لله فيما أمر وفيما نهى .

« وليؤمنوا بى » ولا يمكنك أن تستجيب لله إلا إذا آمنت به سبحانه وداومت على هذا الإيمان ، لأنك إذا لم تؤمن به لم تطع له أمراً .

والإيمان بالله هو التصديق بذاته وصفاته .

أما التصديق بالذات فهو التصديق بوجوده سبحانه

وأما التصديق بالصفات فهو التصديق بها كلها ، بأنه سميع يسمع الدعاء ، مجيب يجيب الدعاء ، قدير يقدر على مايشاء ، عليم يعلم إن كنت صادقاً فى دعائك أم كاذباً ، رحيم ورحمته تسع كل شىء ... وهكذا فمتى كنت مؤمناً بذاته وصفاته أيقنت أنه يقدر أن يمنحك ما يشاء ، وأنه يسمع دعوانك هذه . . حينئذ يصدر عنك الدعاء خالصاً إليه سبحانه .

فطريق الاستجابة هو الإيمان بالله .

فما ثمرة الإيمان والاستجابة إذاً ؟

هو الرشاد .

« لعلهم يرشدون » أى لعلهم باستجابتهم لى وإيمانهم بى يصيروا من الراشدين أى من الذين علموا الخير فاتبعوه ، وعلموا الشر فاجتنبوه . والرشاد بينه الله تعالى فى قوله : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون » .

فالرجل الراشد هو الرجل الذى يحب الإيمان ويكره الكفر والفسوق والعصيان .

وهذه الخاصة لا تتكون فى قلب إنسان إلا بفضل الله ، لأنه هو الذى يحبب إليك الإيمان ويزينه فى قلبك ، وهو الذى يكره إليك الكفر والفسوق والعصيان .

ولذلك قال (لعلهم يرشدون) أى أن الرشاد ليس مبنياً على الاستجابة والإيمان ، وإنما هو فضل أُمنّ به على من أشاء من عبادى ، وإنما جعلت الطاعة

والإيمان سبباً له كما أن استجابة الدعاء ليست شرطاً علىّ ، وإنما أنا الفعال لما أريد ، أجيب من أشاء ، وأرفض من أشاء ، لأن هذا هو اللائق بجلالى ، وهو اللائق بعظمتى ، ولكن ليثق كل مؤمن بى ، أننى حيي كريم أستحى أن يرفع عبدى إلىّ يديه وأردهما خائبتين .

الدعاء يتلخص فى الآتى :

١ — العبد يدعو وهو مستجيب لله مؤمن به .

٢ — الله يجيب الدعاء إذا استوفى العبد شروطه وهى الطاعة والإيمان

٣ — الدعاء يجاب باحدى ثلاث : إما تعجيله ، وإما تأخيره إلى الآخرة . وإما استبداله فى الدنيا بخير آخر .

٤ — الدعاء لا يجاب إذا صدر عن قلب غافل لاه .

أما إجابة دعوة المظلوم ولو كان كافراً فلأن الكافر إذا التجأ إلى الله كان فى حالة التجائه هذه مستجيباً لله مؤمناً به . لأن معنى التجائه إلى الله إيمانه به ، ومعنى مناداته له وحده دون سواه استجابته لربه .

فالكافر المظلوم فى حالة دعائه لله يكون فى حالة إيمان واستجابة مؤقتة ؛ وهذا هو سر استجابة دعائه .

٥ — لله بعد ذلك كله مطلق الحرية كما قال سبحانه « فيكشف ما تدعون إليه إن شاء » فان شاء رفع الدعاء إليه ، وإن شاء لم يرفعه . فلا إيجاب على الله فى شىء وإنما الإيجاب على العباد . فان قبل دعاء المؤمنين فانما قبله تفضلا لا إيجاباً وإن رده فانما يرده عدلا .

٦ — من علم أن له رباً يجيب الدعاء فعليه أن يطمع فى رحمته ، ويكثر من الدعاء ، فهو لا شك مصيبه من رحمته ، إما فى الدنيا ، وإما فى الآخرة . وهذا هو سر استجباب الاكثار من الدعاء والنهى عن الملل منه ، كما قال صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم مالم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لى » .

وفى الحقيقة أن الدعاء هو مخ العبادة حقاً .

ذلك أن الدعاء الصادق الخالص ، إنما يصدر عن قلب الشخص ، بينما العبادة تصدر عن جوارح الإنسان .

فالدعاء هو خضوع القلب لله .

وهو مستجاب ما كان عن إخلاص واتجاه لله .

وهو ألزم ما يكون للصائم ، لأن الصائم فى حالة استعداد طبيعى لأن يتصل بالله .

وهكذا ينقلنا القرآن بهذه الآية الكريمة من جو الصيام وأحكامه إلى جو الدعاء وأحكامه ، ليعلمنا أن الصيام من الحالات الموجبة للاجابة .

وعلى هذا ينبغى لكل صائم وصائمة أن يتجه دائماً إلى الله . وأن يدعوه دائماً ، ويرجوه دائماً ، إنه قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه .

الإعتكاف

قال تعالى . . ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

(البقرة ١٨٧)

« ولا تباشروهن » الاجماع على أن المراد بالمباشرة فى الآية الجماع .

وقال على بن طلحة عن ابن عباس هذا فى الرجل يعتكف فى المسجد فى رمضان أو في غير رمضان يحرم عليه أن ينكح النساء ليلا أو نهاراً حتى يقضى اعتكافه .

وقال الضحاك كان الرجل إذا اعتكف خرج من المسجد جامع إن شاء فقال الله تعالى (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) أى لا تقربوهن ما دمتم عاكفين فى المساجد ولا فى غيرها .

والأمر المتفق عليه عند العلماء أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفاً فى مسجده ولو ذهب إلى منزله لحاجة لابد منها فلا يحل له أن يلبث فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من غائط أو بول أو أكل ، وليس له أن يقبل امرأته ولا يضمها اليه ، ولا يشتغل بشىء سوى اعتكافه ، ولا يعود المريض ولكن يسأل عنه وهو مار فى طريقه .

«تلك حدود الله» أى هذا الذى بيناه وفرضناه وحددناه من الصيام وأحكامه وما أبحنا فيه وما حرمنا وما ذكرنا غايانه ورخصه وعزائمه (حدود الله فلا تقربوها) أى تجاوزوها أو تعتدوها .

وكان الضحاك ومقاتل يقولان في قوله (تلك حدود الله) أى المباشرة فى الاعتكاف .

« كذلك يبين الله آياته » أى كذلك يبين الله سائر أحكامه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

« لعلهم يتقون » أى يعرفون كيف يهتدون وكيف يطيعون .

هذا وقول الجمهور أن الاعتكاف يصح فى كل مسجد .

ثم أفضل الاعتكاف ما كان فى المسجد الحرام ، ثم فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم فى بيت المقدس ، ثم فى المسجد الجامع ، ثم فى المساجد التى يكثر أهلها ويعظم .

وقال النووى ويصح فى سطح المسجد ورحبته لأنهما من المسجد .

وقال أيضاً المرأة لا يصح اعتكافها إلا فى المسجد كالرجل .

وقال ابن بطال قال الشافعى تعتكف المرأة والعبد والمسافر حيث شاءوا .

وقال الحنفية المرأة تعتكف فى مسجد بيتها .

فى رواية الحسن عن أبى حنيفة ومسجد بيتها أفضل لها من مسجد حيها ، ومسجد حيها أفضل لها من المسجد الأعظم .

هذا والاعتكاف فى اللغة هو اللبث مطلقاً ، والإقامة على الشىء .

وفى الشرع الاعتكاف الإقامة فى المسجد واللبث فيه على وجه التقرب إلى الله تعالى على صفة مخصوصة .

وفى التوضيح : قام الإجماع على أن الاعتكاف لا يجب إلا بالنذر .

وفى المحيط : سنة مؤكدة.

وفى المبسوط : قربة مشروعة

وفى منية المفتى : سنة .

وقالت الأئمة الأربعة واتباعهم الصوم من شرط الاعتكاف الواجب .

اعتكاف رسول الله

صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده . (أخرجه البخارى ومسلم)

« ثم اعتكف أزواجه من بعده » أى استمر حكمه بعده حتى فى حق النساء ولا هو من الخصائص .

وفيه استحباب الاعتكاف فى العشر الأواخر من شهر رمضان وهو مجمع عليه استحباباً مؤكداً فى حق الرجال .

واختلف العلماء فى النساء ، قال النووى : وفى هذا الحديث دليل لصحة اعتكاف النساء لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان آذن لهن . ولكن عند أبى

حنيفة إنما يصح اعتكاف المرأة فى مسجد بيتها وهو الموضع المهيأ فى بيتها لصلاتها . قال ويجوز للرجل فى مسجد بيته .

لقد كان صلى الله عليه وسلم يواظب على الاعتكاف كل عام حتى توفاه الله .

ماذا يحل للمعتكف؟

عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل على رأسه وهو فى المسجد فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً .

(أخرجه البخارى)

« ليدخل على رأسه » أى يميل رأسه إليها لتمشطه . وكان باب الحجرة إلى المسجد ، وكانت عائشة تقعد فى حجرتها من وراء الفتحة . ويقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد خارج الحجرة فيميل رأسه إليها .

« فأرجله » فأمشطه .

« وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة » أى لحاجة الإنسان . وفسرها الزهرى بالبول والغائط .

وقد اتفقوا على استثنائهما واختلفوا فى غيرهما من الحاجات مثل عيادة المريض وشهود الجمعة والجنازة .

فأجازه بعض أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيرهم .

وقال بعضهم ليس له أن يفعل شيئاً من هذا .

قال الترمذى : ورأوا أن للمعتكف إذا كان فى مصر يجمع فيه أن لا يعتكف إلا فى المسجد الجامع لأنهم كرهوا الخروج من معتكفه إلى الجمعة ولم يروا له أن يترك الجمعة .

وقال أحمد لا يعود المريض ولا يتبع الجنازة .

وفى البدائع يحرم خروجه من معتكفه ليلا أو نهاراً إلا لحاجة الانسان ولا يخرج لأكل ولا شرب ولا نوم ولا عيادة مريض ولا لصلاة جنازة . فإن خرج فسد اعتكافه عامداً أو ناسياً بخلاف ما لو أخرج مكرها .

هذا وفى الحديث جواز التنظيف والتطيب والغسل كالترجل للمعتكف والجمهور على أنه لا يكره فيه إلا ما يكره فى المسجد .

وفى جوامع الفقه : له أن يأكل ويشرب بعد الغروب ، ويحدث وينام ويدهن ويصعد المأذنة وإن كان بابها خارج المسجد .

متى يبدأ الاعتكاف ومتى ينتهى ؟

عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه وإنه أمر بخبائه فضرب أراد الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان فأمرت زينب بخبائها فضرب وأمر غيرها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بخبائه فضرب فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر نظر فإذا الأخبية فقال آلبر تردن فأمر بخبائه فقوض وترك الاعتكاف فى شهر رمضان حتى اعتكف فى العشر الأول من شوال . (أخرجه مسلم)

« إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه » احتج به من يقول يبدأ الاعتكاف من أول النهار ، وبه قال الأوزاعي والثوري والليث في أحد قوليه.

وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد يدخل فيه قبل غروب الشمس إذا أراد اعتكاف شهر أو اعتكاف عشر ، وأولوا الحديث على أنه دخل المعتكف وانقطع فيه وتخلى بنفسه بعد صلاة الصبح ، لا أن ذلك وقت ابتداء الاعتكاف ، بل كان من قبل المغرب معتكفاً لابثاً في جملة المسجد ، فلما صلى الصبح انفرد .

« وأنه أمر بخبائه فضرب » هو الخيمة من وبر أو صوف وهو على عمودين أو ثلاثة ويجمع على أخبية .

قالوا فيه دليل على جواز اتخاذ المعتكف لنفسه موضعاً من المسجد ينفرد فيه مدة اعتكافه مالم يضيق على الناس ، وإذا اتخذه يكون في آخر المسجد وراءه لئلا يضيق على غيره ، وليكون أخلى له وأكمل في انفراده .

« آلبر تردن ؟ » أي الطاعة .

قال القاضي قال صلى الله عليه وسلم هذا الكلام إنكاراً لفعلهن ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أذن لبعضهن في ذلك كما رواه البخاري ، قال وسبب انكاره أنه خاف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو لغيرته عليهن ، فكره ملازمتهن المسجد ، مع أنه يجمع الناس وحضرة الأعراب والمنافقون وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن فيتبدلن بذلك ، أو لأنه صلى الله عليه وسلم رآهن عنده في المسجد وهو في المسجد فصار كأنه في منزله بحضوره مع أزواجه وذهب المهم من مقصود الاعتكاف ، وهو التخلي عن الأزواج ومتعلقات الدنيا .

« فأمر بخبائه فقوض » فأمر بخيمته فأزيلت .

* * *

هذا والسؤال الآن هل يبيت ليلة الفطر فى معتكفه ولا يخرج منه إلا إذا خرج لصلاة العيد فيصلى وحينئذ يخرج إلى منزله ، أو يجوز له أن يخرج عند الغروب من آخر يوم من شهر رمضان ؟

قولان للعلماء

الأول قول مالك وأحمد وغيرهما .

وذهب الشافعى والليث والزهرى والأوزاعى فى آخرين إلى انه يجوز خروجه ليلة الفطر ولا يلزمه شىء .

آخر اعتكاف لرسول الله

صلى الله عليه وسلم

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين يوماً . (أخرجه البخارى)

« اعتكف عشرين يوماً » أى اعتكف العشر الأوسط والعشر الأواخر ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم إنما ضاعف اعتكافه فى العام الذى قبض فيه من أجل أنه علم بانقضاء أجله فأراد استكثار عمل الخير ، ليسن لأمته الاجتهاد فى العمل إذا بلغوا أقصى العمر ، ليلقوا الله على خير أحوالهم .

وقيل السبب فيه أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يعارضه بالقرآن فى رمضان ، فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه به مرتين ، فلذلك اعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين .

وقال ابن العربى يحتمل أن يكون سبب ذلك أنه لما ترك الاعتكاف فى العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه واعتكف بذلك عشراً من شوال اعتكف فى العام الذى يليه عشرين ليحقق قضاء العشر فى رمضان .

وقيل يحتمل أنه لما كان فى العام الذى قبله مسافراً فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين .

وقال ابن بطال مواظبته صلى الله عليه وسلم على الاعتكاف يدل على أنه من السنن المؤكدة .

وعن عطاء الخراسانى أنه كان يقول مثل المعتكف كمثل عبد ألقى نفسه بين يدى ربه ثم قال لا أبرح حتى تغفر لى لا أبرح حتى ترحمنى .

والآن أيها الصائم ، لقد بسطنا أمامك الاعتكاف وأحكامه بسطاً ، وكشفنا لك عن أسلوبه صلى الله عليه وسلم فى العشر الأواخر من رمضان . وكيف أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أهلت عليه العشر الأواخر اعتزل النساء ، واعتكف فى المسجد ، وتخلى لله ، واستعد للالتقاء بليلة القدر ، وعاش فترة من التفرغ التام لله عز وجل .

فهل آن للصائمين والصائمات الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته رضى الله عنهن ؟

زكاة الفطر

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة . (أخرجه البخارى)

« فرض » اعلم أن العلماء اختلفوا فى صدقة الفطر هل هى فرض أو واجبة او سنة أو فعل خير مندوب اليه ؟

فقالت طائفة هى فرض وهم الشافعى ومالك واحمد .

وقال الحنفية هى واجبة ، وقالت طائفة هى سنة ، وقد أجمع أهل العلم على وجوب زكاة الفطر وإن اختلفوا فى تسميتها فرضاً فلا يجوز تركها .

« زكاة الفطر » ويقال لها صدقة الفطر وزكاة الفطر وزكاة رمضان وزكاة الصوم وصدقة الصوم وصدقة رمضان وصدقة الرءوس وزكاة الأبدان . وأضيفت الزكاة إلى الفطر لكونها تجب بالفطر من رمضان .

«صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير» قال النووى . فيه دليل على أن الواجب فى الفطرة عن كل نفس صاع ، فان كان فى غير حنطة وزبيب وجب صاع بالإجماع وإن كان حنطة وزبيباً وجب أيضاً صاع عند الشافعى ومالك والجمهور ، وقال أبو حنيفة وأحمد نصف صاع بحديث معاوية .

« على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير » من المسلمين فيه

دليل على أنها تجب على أهل القرى والأمصار والبوادى والشعاب وكل مسلم حيث كان وبه قال مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد وجماهير العلماء .

« وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » قال النووى : فيه دليل للشافعى والجمهور فى أنه لا يجوز تأخير الفطرة عن يوم العيد وأن الأفضل إخراجها قبل الخروج إلى المصلى . وحكى الخطابى الإجماع فيه . وقال ابن حزم الأمر فيه للوجوب فيحرم تأخيرها عن ذلك الوقت .

* * *

هذا أما عن صدقة الفطر . وحكمها ، ومن تجب عليه ، ومن تجب عنه ، ومتى تجب ، ومن تدفع له ، ومتى تخرج ، وقدر المخرج وجنسه ، فهاك مجمل ماذكر .

صدقة الفطر فرض عند الجمهور ، واجبة عند الحنفيين . وتجب على الحر المسلم الموسر عنه وعمن تلزمه نفقته . وتدفع للفقراء والمساكين . وتجب بطلوع فجر يوم العيد عند الحنفيين . ورواه ابن القاسم عن مالك . وقال الشافعى وأحمد تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان . ورواه أشهب عن مالك . ويندب إخراجها قبل صلاة العيد . وإن أخرها عن يومه بلا عذر أثم ولا تسقط . ويصح تقديمها ولو قبل رمضان عند الحنفيين ، ومن أول رمضان عند الشافعية ، وقبل العيد بيومين فقط عند المالكية وهو مشهور مذهب الحنبلية . وعن بعضهم يجوز تقديمها من بعد نصف رمضان . والواجب عند الحنفيين نصف صاع من بُر أو دقيقه أو سويقه أو صاع من تمر أو شعير أو زبيب . أو قيمة ذلك من غيرها . والصاع قدحان بالكيل المصرى . وقالت الحنبلية : الواجب صاع مما ذكر لا فرق

بين البر وغيره ولا تكفي القيمة . وقالت المالكية : الواجب صاع من غالب قوت البلد ولو من غيرهذه الأصناف . وهومشهور مذهب الشافعية . ولا تكفي القيمة عندهم . وتكفي عند المالكية مع الكراهة .

* * *

هذه لمحة سريعة عن زكاة الفطر كان لا بد منها فى هذا الكتاب تماماً للفائدة ، حتى لا يسقط شيء يتعلق بالصيام من محتويات الكتاب .

فعلى كل إنسان أن يخرج زكاة فطره ، متجهاً بها إلى الله ، راجياً بها ثوابه .

وقد قالوا فيها أن العبادات التى تطول ويشق التحرز منها من أمور تفوت كالها جعل الشرع فيها كفارة مالية بدل النقص ، كالهدى فى الحج والعمرة ، وكذا زكاة الفطر لما يكون فى الصوم من لغو وغيره . وقد جاء فى حديث آخر أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث .

عيد الفطر

العيد مشتق من العود ، سمى به يوم الفطر لعود السرور بعوده ، أو لكثرة عوائد الله تعالى فيها على عباده ، ومنها غفر الذنوب .

والآن كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى يوم العيد ؟

أو ما هو البرنامج العملى للنبى صلى الله عليه وسلم فى عيد الفطر ؟

مشروعية صلاة العيد

شرعت صلاة العيد فى السنة الأولى من الهجرة .

وقال الحافظ فى التلخيص : اشتهر فى السير أن أول عيد شرع عيد الفطر ، وأنه فى السنة الثانية من الهجرة .

حكم صلاة العيد

مشهور مذهب الحنفيين أنها واجبة على من تفترض عليه الجمعة .

وقال بعض الحنفيين : إنها سنة مؤكدة .

وقالت الحنابلة : صلاة العيد فرض كفاية ، إذا قام بها بعضهم سقط الطلب عن الباقين .

وقالت المالكية وأكثر الشافعية والجمهور : صلاة العيد سنة مؤكدة .

من تطلب منه صلاة العيد ؟

تطلب صلاة العيد ممن تطلب منه الجمعة ، وللفقهاء فى هذا تفاصيل .

خروج النساء إلى العيد

يجوز للنساء الخروج إلى العيد متسترات غير متبرجات ولا متطيبات ولا متحليات بما يثير الفتنة .

قال العينى : فى هذا الزمان لا يفتى به لظهور الفساد وعدم الأمن .

ما يطلب للعيد

يسن إحياء ليلة العيد بأنواع الطاعة .

قال ابن قدامة فى المغنى : ويستحب رفع الصوت بالتكبير ليلة العيدين فى المنازل والطرق ، لقوله تعالى « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم

تشكرون» ولما فيه من إظهار شعائر الإسلام وتذكير العبد بنعم الله على عباده

قال أحمد : كان ابن عمير يكبر فى العيدين جميعاً ، ويعجبنا ذلك وهو فى عيد الفطر آكد ، لورود النص فيه فقد قالوا فى تفسير الآية : لتكملوا عدة رمضان ، ولتكبروا الله عند إكماله لهدايتكم وتوفيقكم لصومه .

وقال ابن عباس : حق على المسلمين إذا رأوا هلال شوال أن يكبروا .

وقال قوم : يكبر من رؤية الهلال إلى خروج الإمام للصلاة .

وقد اتفق العلماء على أنه يسن الغسل للعيد .

ويسن التطيب والاستياك للعيد كالجمعة

ويسن أن يلبس أحسن ثيابه وأجملها وإن لم يكن أبيض

قال فى زاد المعاد : وكان صلى الله عليه وسلم يلبس للخروج للعيدين أحسن ثيابه ، وكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة .

ويستحب أن يأكل فى عيد الفطر قبل الخروج إلى المصلى تمرات وتراً وفى جماهير وتراً الإشارة إلى الوحدانية .

والحكمة فى استحباب الأكل يوم الفطر قبل صلاة العيد ألا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلى العيد .

والحكمة فى استحباب التمر فيه ، ما فى الحلو من تقوية البصر الذى يضعفه الصوم ، ولذا استحب بعضهم الفطر على الحلو مطلقاً كالرطب والعسل .

ويستحب أن تؤدى زكاة الفطر قبل الخروج إلى المصلى .

ويسن لمن كان من أهل البلد التوجه إلى المصلى ماشياً بسكينة ووقار ، ويخير في الرجوع بين المشي والركوب .

ويستحب التكبير بعد صلاة الصبح إلى المصلى ، إلا الإمام فإنه يتأخر إلى وقت الصلاة .

ويستحب التكبير جهراً حال السير إلى المصلى وفي المصلى إلى الشروع في الصلاة ، لقول الزهري : كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخرج يوم الفطر فيكبر من حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلى .

هذا وقد ورد في كيفية التكبير صيغ أصحها ما ورد عن سلمان الفارسي قال : كبروا : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر كبيراً .

وقت صلاة العيد

يدخل وقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس كرمح أو رمحين ، أي بنحو ثلاثة أمتار أو ستة أمتار ، إلى ما قبل الزوال.

قال ابن قدامة في المغني : ويسن تقديم الأضحى ليتسع وقت التضحية ، وتأخير الفطر ليتسع وقت إخراج صدقة الفطر ، ولا أعلم فيه خلافاً .

مكان صلاة العيد

تسن صلاة العيد في الصحراء إلا لعذر كمطر أو ضعف ، لقول أبي سعيد الخدري : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شيء يبدأ به الصلاة . (الحديث) .

وبهذا قال جمهور السلف والخلف ، ومنهم الحنفية والمالكية والحنبلية وجماعة من الشافعية .

هل لصلاة العيد نداء ؟

لا يطلب لصلاة العيد أذان ولا إقامة .

وبهذا قال العلماء كافة ، قال مالك في الموطأ : سمعت غير واحد من علمائنا يقول: لم يكن في الفطر ولا في الأضحى نداء ولا إقامة من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، وتلك السنة التي لا اختلاف فيها عندنا .

القراءة في صلاة العيد

اتفق العلماء على أنه يقرأ في العيد بعد الفاتحة جهراً بأي سورة ، ولكن يستحب أن يقرأ بعد الفاتحة سبح اسم ربك الأعلى ، أو «ق» والقرآن المجيد ، أو عم يتساءلون ، في الركعة الأولى ، وهل أتاك حديث الغاشية ، أو اقتربت الساعة وانشق القمر ، أو والشمس وضحاها ، في الركعة الثانية .

ويسن للامام الجهر في قراءة العيد .

التكبير في صلاة العيد

ورد في عدد التكبير في صلاة العيد وموضعه عدة روايات :

قال النووي : وأما التكبير المشروع في أول صلاة العيد . فقال الشافعي : هو سبع في الأولى غير تكبيرة الاحرام وخمس في الثانية غير تكبيرة القيام .

وقال مالك وأحمد وأبو ثور كذلك لكن سبع في الأولى إحداهن تكبيرة الاحرام .

وقال النووي وأبو حنيفة خمس في الأولى وأربع في الثانية بتكبيرة الاحرام والقيام.

وجمهور العلماء يرى هذه التكبيرات متوالية متصلة .

وقال عطاء والشافعي وأحمد يستحب بين كل تكبيرتين ذكر الله تعالى (انتهى) .

هذا ويسن رفع اليدين فى تكبير العيد ؛ لما ثبت أن عمر رضى الله عنه كان يرفع يديه مع كل تكبيرة .

كيفية صلاة العيد

صلاة العيد ركعتان قبل الخطبة بلا نداء .

وكيفية صلاة العيد أنه متى دخل وقتها يصلى الامام ركعتين فيكبر تكبيرة الاحرام ناويا بقلبه صلاة عيد الفطر ، ثم يضع يديه على سرته قابضاً اليسرى باليمنى . ويأتى بدعاء الاستفتاح ، ثم يكبر سبع تكبيرات أو ستاً أو ثلاثاً رافعاً يديه مع كل تكبيرة ، ويفصل بين كل تكبيرتين بسكتة مقدار ثلاث تسبيحات ، ثم يتعوذ ثم يبسمل ثم يقرأ الفاتحة وسورة ، ثم يركع ويطمئن راكعاً ويرفع مطمئناً ويسجد ويطمئن ساجداً ، ويجلس ويطمئن جالساً ويسجد ويطمئن ساجداً ، ثم يبتدىء الركعة الثانية بخمس تكبيرات غير تكبيرة القيام إن كان كبر فى الأولى سبعاً أو ستاً ، أو يبتدىء بالقراءة ثم يكبر بعدها ثلاثاً إن كان كبر فى الأولى ثلاثاً ، ثم يركع ويتم الركعة كسائر الصلوات .

خطبة العيد

وإذا فرغ الامام من صلاة العيد قام مستقبلا الناس وخطب خطبتين كالجمعة يجلس بينهما .

ويسن إفتتاح الخطبة بحمد الله والثناء عليه .

ويسن الاكثار من التكبير فى أثناء الخطبة .

ويسن وقوف الخطيب فى العيد على الأرض متكئاً على قوس أو عصا . وقد اتفق الأئمة على أن خطبة العيد واستماعها سنة .

قيام الإمام للناس بعد العيد ونظره اليهم هو سنة لقول عبد الرحمن بن عثمان التيمى : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً فى السوق يوم العيد ينظر والناس يمرون .

التهنئة بالعيد

يباح التهنئة يوم العيد بنحو : تقبل الله منا ومنك .

وسئل الحافظ أبو الحسن المقدسى عن التهنئة فى أوائل الشهور والسنين أهو بدعة أم لا ؟ فأجاب بأن الناس لم يزالوا مختلفين فى ذلك . قال : والذى أراه أنه مباح ليس بسنة ولا بدعة .

الرجوع بعد صلاة العيد

يستحب الرجوع من طريق غير طريق الذهاب . وبهذا قال كافة العلماء . والحكمة فى ذلك إظهار شعائر الإسلام .

الصلاه قبل العيد و بعدها

لا راتبة للعيد قبلها ولا بعدها عند كافة العلماء .

اللعب والغناء يوم العيد

يباح اللعب بالحراب ونحوها يوم العيد فى المسجد وغيره ، للتدرب على أعمال الجهاد والبر ، ولترويح النفس .

ويجوز الضرب بالدف يوم العيد والغناء الخالى عن التكسر والغزل ونحوه مما يثير النفوس .

ويشرع التوسعة على الأهل والعيال فى أيام الأعياد بما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلف العبادة ، وأن الإعراض عن ذلك أولى ، وأن إظهار السرور فى الأعياد من شعائر الدين .

بدع العيد

أحدث الناس في العيد عوائد ذميمة منها السهر ليلة العيد فى غير طاعة بل فى الاشتغال بزخارف الدنيا واللهو واللعب وغيرهما مما يؤدى إلى ترك إحياء الليلة الشريفة بأنواع الطاعة .

ومنها خروج النساء والرجال إلى المقابر ليلة العيد ويومه والمبيت فيها ويرتكبون فى ذلك ما تأباه المروءة ولا يرضاه عقل ولا نقل .

ومن البدع الشنيعة ، تجديد الحزن على الموتى واجتماع النساء لذلك ليلة العيد يصحن على من لم يحل عليه الحول من الأموات ، ويندبنه ويرتكبن ما يغضب الرب الغيور ، ويشاققن الله ورسوله والمؤمنين ، ويخالفن سنن الدين . فيبؤن بغضب رب العالمين.

ومنها صلاة غير أهل مكة العيد فى المسجد إلا لضرورة تدعو الى ذلك .

ومنها ترك التكبير في الأسواق والطرق ليلة العيد وحال الذهاب إلى المصلى ، وعدم التبكير إلى المصلى من غير الامام . وتأخير الأكل عن صلاة العيد يوم الفطر . وترك الغسل للعيد والتطيب وغيرها .

ومنها ما اعتاده بعض الناس من زيارة الأولياء والقبور بعد صلاة العيد قبل الرجوع إلى منازلهم .

ومنها رجوعهم من طريق الذهاب ، فإنه خلاف السنة فقد تقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يذهب فى طريق ويرجع من أخرى ولم يثبت أنه زار قبراً

فى ذهابه أو إيابه وهذا من تلبيس إبليس حيث يلقى لمن يقبل وسوسته حجباً يترك بها السنة ويستعمل غيرها مما يظهر له أنه عبادة وقربة . وهو فى الواقع محرم أو بدعة . ألا ترى أن السنة فى العيد إسراع الأوبة بعد الصلاة إلى الأهل. يعوض لهم عن ذلك زيارة القبور وزين لهم أنها فى هذا اليوم من البر لأهلها .

ومن العوائد الذميمة التكلف فى اتخاذ طعام خاص يوم العيد . والاستعداد له ولو بالتداين وإرهاق النفس كأنه سنة يستن بها .

قال ابن الحاج فى المدخل والسنة فى عيد الفطر التوسعة فيه على الأهل بأى شىء كان من المأكول ، إذ لم يرد الشرع فيه بشىء معلوم . ويجوز أن يتخذ فيه طعاماً معلوماً إذ هو من المباح لكن بشرط عدم التكلف فيه ، وبشرط ألا يعمل ذلك سنة يستن بها

* * *

والآن هل ظهرت معالم عيد الفطر واتضحت ؟ وهل آن أن نتبع ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى يوم فطره ؟

وأن تصوموا خير لكم

إن كنتم تعلمون

أحببت أن أختتم الكتاب بآراء لبعض الأطباء والعلماء فى الصيام ، لتطمئن قلوب الذين لا يؤمنون ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً مع إيمانهم .

الصيام يفيد الصحة

— هل الصيام مفيد من الناحية الطبية ؟

— أقرر بوصفى طبيباً أن الصيام مفيد جداً ، ولكن بشرط أن تتبع حكمة الصيام ، وهى تقضى بتناول الكميات المعتدلة على مائدة الافطار .

دكتور نور الدين طراف

*

تنظيف الأسنان أثناء الصيام

يشعر الصائم فى رمضان بتغير فى رائحة وطعم فمه ، رغم تحسن صحته وانتظام معدته ، والسبب فى ذلك أن كلا من الطعام والشراب منبه قوى للغدد اللعابية ، لإفراز اللعاب « الريق » الذى يعتبر حماماً مستمراً للفم ، يزيل فضلات الطعام بين الأسنان .

وأثناء الصيام يختفى هذا المنبه طول النهار ، فيقل تيار اللعاب ، وتكمن فضلات الطعام ، وتتحلل الى المواد ذات الرائحة والطعم الغريبين ، اللذين يشعر الصائم بهما .

ومن عادتنا فى رمضان أن نكثر من الأطعمة المركزة التسكر ، كالكنافة والقطايف ومنقوع التين والبلح وغيرها من أنواع الحلوى ، وهذه السكريات ، إذا تركت فضلات لها في الفم بعد الأكل نتيجة لعدم نظافة الفم والأسنان نظافة كاملة ، فإن هذه المواد تتحلل بين الأسنان وعلى أسطحها بواسطة البكتيريا التى

تظل دائماً فى الفم وتصبح أحماضاً يكون لها القدرة على إذابة المادة الصلدة للاسنان ، وتنتج عن ذلك الفجوات فى الأسنان التى تسمى بالتسوس .

فمن الضرورى لهذه الأسباب أن يعنى الصائم بنظافة فمه وأسنانه ، حتى لايترك فى ثنايا اللثة والأسنان ، أية فضلات ، وخاصة الفضلات السكرية ، حتى يضمن وقاية الأسنان من التسوس . ويعتبر الوضوء عند كل صلاه أحسن حمام طارىء للفم ومنبه سطحى للغدد اللعابية .

دكتور عبد الوهاب العنانى

الصوم وقاية من ضغط الدم وتصلب الشرايين

الصوم يفيد فى الوقاية من ضغط الدم وفى علاجه ، بشرط الإقلال من الطعام والشراب ، لأن الاكثار منهما يؤدى إلى زيادة وزن الجسم ، ويترتب على ذلك تضخم القلب وارتفاع ضغط الدم ، فيصعب على القلب تغذية الجسم .

ولكن الصوم يخفف العمل على القلب ، إذ تقل ضرباته وتنخفض شدتها ، ويقلل الصوم مجهودات الدورة الدموية والكبد والكلى ، نظراً لقلة حاجة أحشاء الجسم الى تموينها بالدم ، وتبعاً لذلك ينخفض ضغط الدم إلى المستوى الطبيعى . فتسلم الشرايين من اللف ، ويسلم صاحبها من إنفجارها أو تزيفها تحت حمل الضغط العالى .

وكذلك يفيد الصوم فى الوقاية من تصلب الشرايين وعلاجها ، لأن كثرة الدهن والأطعمة الدسمة تؤدى إلى اختلال وظائف الكبد .

ويفيد الصوم كذلك فى تمثيل المواد الدهنية التى تترسب فى الشرايين وتسبب تلفها ، مثلما يحدث فى مواسير المياه عندما يأكلها الصدأ ، وبذلك تتعرض الشرايين للانسداد أو للانفجار ، وخاصة تحت الضغط الدموى العالى ، ومرض السكر الدموى . .

وفى الصيام يقل تناول الدهن والأطعمة الدسمة ، فتقل المواد العالقة بجدران الشرايين ، وفى ذلك وقاية لها من التصلب .

والصوم يقى الكلى خطر الاجهاد ، وخاصة أثناء مرضها ، لأن أعباءها تقل فى تصفية الدضلات والسموم تنتج فى الجسم من هضم الطعام وامتصاصه .

دكتور زكريا العصفورى

لماذا تفطر الحامل والمرضع

سألتنى سيدة حامل عن الظروف التى يجوز لها الأفطار بسبب حملها .

والجواب على ذلك هو أن المرأة تحتاج أثناء الحمل إلى زيادة كمية الغذاء لتكوين الجنين .

وهناك فترتان هامتان لنمو الجنين ، الأولى فى الشهرين الأولين من الحمل ، والثانيه فى الأشهر الثلاثة الأخيرة للحمل .

ويجب أن تراعى كل سيدة حامل أن تتفادى إرهاق نفسها بالصيام خلال هاتين الفترتين

أما عن أثر الصيام فى لبن الأم المرضع ، فان كمية لبن الرضاع التى تعطيها الأم لطفلها يومياً ، تتراوح بين لتر ولتر ونصف ، وتحصل الأم بدورها على هذه الكمية من اللبن من الغذاء الذى تتناوله يومياً ، فاذا قل غذاؤها فان إفرازها من اللبن يقل ، وتنقص كمية الفيتامينات فيه ، وعلى ذلك يجوز للأم المرضع الأفطار إذا لاحظت أن صومها يؤثر فى كمية لبنها ، أما إذا كان الطفل يعتمد فى غذائه على لبن خارجى ، إلى جانب لبن أمه ، فلا يجوز للأم أن تفطر بحجة الخوف من تأثير الصيام على كمية لبن طفلها .

دكتور عبد الغنى وشاحى

الصيام علاج ووقاية لكل أعضاء الجسم

اثبتت العلوم الطبيه الحديثة أن الصوم علاج ووقاية لكل أعضاء الجسم ، ولذلك تلجأ إليه دور العلاج فى الخارج .

وقد أثبت علم ما وراء الطبيعة أن الصوم يحدث نشاطاً روحياً .

ويقول الدكتور ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب « إن الروح فى حالة الصوم تنطلق وراء المكان والزمان ، ويحس الإنسان بأنه قريب من الله ، قرباً يجل عن الوصف ، إذ يشارف الحياة الأبدية ، ويسبح فى عالم من الشهود للحق » .

ويقرر علم النفس أن الصوم يغرس الأمانة والصبر فى نفس الصائم بالتعود ،

إذ يصوم المرء ولا رقيب عليه إلا الله ، والصائم يصبر على الجوع ، ويتجنب الغضب والفحش فى القول ، والغيبة والنميمة وكل رذيلة ؛ وهذه صفات تخلق فى النفس كل مقومات الإنسان الكامل .

هذا جزء يسير من فضل الصوم على الجسم والروح والنفس ، أظهره العلم الحديث ليفسر لنا قول الله سبحانه وتعـــالى (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) .

عبد الرازق نوفل

* * *

الصيام والخمول الذهنى

فى الصيام يمد الجسم نفسه بالوقود من المواد السكرية المختزنة فيه ، وإذا طال الصيام ، يعتمد الجسم على المواد الدهنية ، وخاصة الموجودة تحت الجلد ، فإذا نفدت هى الأخرى ، اضطر إلى إحراق الأجزاء العضلية .

ولذلك يجب أن يحصل الجسم كل يوم على ما لا يقل عن لترين ونصف لتر من الماء ، و ١٢ جراماً من الملح لتعويض الكمية التى يفقدها الصائم منهما فى البول والعرق ، وإلا اضطربت حيويته وتعرض للهلاك فى أقل من ٣ أيام .

كما يحتاج الجسم فى الصيام إلى المواد السكرية بكميات أكبر من المعتاد تناولها فى غير أيام الصيام ، لتمده بالحرارة اللازمة لنشاطه .

والخمول الذهنى هو أول تأثير للصيام على الجسم ، ويرجع ذلك في معظم الحالات إلى نقص السكر فى الجسم ، وزيادة إفراز هرمونات الغدد الصماء فوق الكلى ، وكذلك لاضطراب أنسجة الجسم لقلة الماء والملح .

دكتور محمد زكى سويدان

الصيام ومرض السكر

وأما مرض السكر فأنواع :

السكر الذى يصيب الكبار عند بلوغهم سن الخامسة والأربعين . والصيام فى هذه الحالة جزء من العلاج ، الذى يكون عادة بعمل « رجيم » شديد . ويراعى عند الإفطار التقليل من المواد الدسمة وكثافة « رمضان » . ولا بأس من أكل الفواكه الطازجة كالبرتقال واليوسفى .

ثم السكر الذى يصيب الصغار وهو يكون شديداً غالباً .. وفي هذه الحالة لا يستحسن الصيام .

وقد يصيب مرض السكر الكبد ، فالصيام فى تلك الحالة يريح الكبد والأمعاء ، ويفيد المريض بشرط الإقلال من المواد الدسمة .

ولا يستحسن كذلك صيام المريض فى حالات السكر التى تكون مضاعفة لبعض أمراض الغدد الصماء ، لأن الصيام يزيد هزال المريض وضعفه .

دكتور أحمد مختار السعدنى

آراء فى زكاة الفطر

فرضت زكاة الفطر فى العام الذى فرض فيه الصيام (أى العام الثانى من الهجرة) وهى شكر من الصائم لله على ما من به عليه من توفيقه لاحتمال مشقة الصيام . وتكفير لما يحتمل أن يكون قد بدر من الصائم من هفوة أو تقصير وهى امتحان لما أثمره الصوم من رفق وعطف وشعور بألم المحتاجين .

ومقدار الزكاة المفروضة على كل فرد ، هو كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « صاع من تمر أو صاع من شعير على الذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين » .

والصاع عبارة عن قدحين ، وثلث قدح بالكيل المصرى . أو نصف هذه الكمية من القمح ، لأن صاع القمح يعادل صاعين من الشعير .

وإخراج الزكاة نقداً أيسر وأنفع للفقير لتغنيه عن الحاجة والسؤال يوم العيد .

وورد ان النبى قال عن موعد أداء الزكاة « من أداها قبل الصلاة (صلاة العيد) فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » ،

ومن الأئمة من يبيح إخراجها فى أى يوم من شهر رمضان ، ومنهم من يجيز تقديمها عن العيد بيومين فقط . والأفضل مراعاة الوقت الذى يكون أوفى لمصلحة الفقير

وتدفع زكاة الفطر للفقراء والمساكين والمحتاجين من أقارب الصائم فهم أولى بها ، وكذلك يجوز دفعها للمبرات والجمعيات .

دكتور محمود حب الله

الصيام علاج لحب الشباب

. . . والصيام يفيد فى علاج حب الشباب ، لأن الامتناع عن أكل المواد الدهنية أو النشوية هو أول ما يهدف إليه الطبيب المعالج حتى يتخلص من الزيت المنسكب على الوجه فتنقص المسام ، وتصفو البشرة ، ويختفى بالتبعية كل أثر للحبوب ، وذلك فضلا عن أن حالات حب الشباب تقل عند الشابات الصائمات فى رمضان نتيجة احجامهن عن وسائل التجميل بالمساحيق والعطور « كريمات » الوجه ، وهى الأشياء التى تزيد حالات الالتهاب والحساسية فى الوجه .

ويفيد الصيام كذلك فى علاج أمراض الحساسية الجلدية مثل الأكزيما والارتيكاريا ، بشرط أن يمتنع الصائم عن تناول السمك والبيض والليمون والجبن والخوادق وقمر الدين والمانجو والفراولة .

دكتور حسن سيف النصر

تلك آراؤهم . . .

أوردناها تبصرة وذكرى . . . ليزداد الذين آمنوا إيماناً .

وليعلم الذين لا يؤمنون أن الصيام خير ورحمة وأن الله حين يقول « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » إنما يريد أن يطهرنا ، ويرحمنا ، ويدفع عنا شرور أنفسنا .

ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

وإن علموا لا يتبعون ! !

كلمة أخيرة

ليس هذا كتاباً في الفقه ، لا ولا هو كتاب في الدين ، وإنما هو شعاع من نور النبوة ، أردت أن يكون نفحة لكل صائم وصائمة في رمضان .

ابتعدت فيه ما استطعت عما يثقل النفس ويتعب الذهن . وجعلته يتشعشع إلى القلوب كما يتشعشع نور الفجر إلى أزهار الربيع .

فلن تجد فيه جدلا مضلا ، ولا هوى متبعاً ، ولا عمقاً مفسداً .

ولكن ما يشرح الصدر ، ويأسر النفس ، ومن ذاق عرف .

وما توفيقي إلا بالله ... وتقبل الله منا ومنكم .

محمود شلبي

موضوعات الكتاب

صفحة

مقدمة ٣
ماذا قبل فرض رمضان ؟ ٥
التمهيد لاستقبال رمضان ٦
الله يفرض الصوم ٧
تطور فريضة الصوم ٩
شهر رمضان ١٢
الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر الصائم ١٦
إذا كان أول أول ليلة من رمضان ١٩
توجه بصيامك إلى الله ٢١
. . وكان أجود ما يكون فى رمضان ٢٢
. . دع قول الزور فى رمضان ٢٥
للصائم فرحتان ٢٦
تطور أحكام الصيام ٢٧
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخر السحور ٣٢
تسحروا ٣٣
يواصل وينهى عن الوصال ٣٥
صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٣٧
القبلة للصائم ٣٩
الصائم إذا أكل أو شرب أو جامع ناسياً ٤١
تحريم الجماع فى نهار رمضان ٤٣
من أفطر يوماً من رمضان ٤٥
جواز الصوم والفطر فى رمضان للمسافر فى غير معصية ٤٦
للشيخ الكبير والعجوز أن يفطرا ٤٨
متى يقضى قضاء رمضان ؟ ٤٨

الرخصة فى الإفطار للحبلى والمرضع ٥٠
وضع الصيام عن الحائض والنفساء ٥١
قضاء الصوم عن الميت ٥٣
متى يحل فطر الصائم وعلام يفطر ؟ ٥٤
تعجيل الإفطار ٥٥
صوم الصبيان ٥٦
صيام النبى صلى الله عليه وسلم فى غير رمضان ... ٥٨
النهى عن صوم الدهر ٥٩
استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ٦١
النهى عن صوم يوم الجمعة منفرداً ٦٤
هل يخص شيئاً من الأيام ؟ ٦٦
النهى عن صوم يوم الفطر والنحر ٦٧
التراويح ٦٨
ليلة القدر ٧٤
فضل ليلة القدر ٧٨
التمسوها فى العشر الأواخر ٧٩
علامات ليلة القدر ٨١
الاجتهاد فى العشر الأواخر ٨٢
وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ٨٤
الاعتكاف ٩٠
اعتكاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩٢
ماذا يحل للمعتكف ؟ ٩٣
متى يبدأ الاعتكاف ومتى ينتهى ؟ ٩٤
آخر اعتكاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٩٦
زكاة الفطر ٩٨
عيد الفطر ١٠٠
وأن تصوموا خير لكم ١٠٨
كلمة أخيرة ١١٧

أخطاء مطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصحيح
٥٨	١٢	آر خرى	أراء أخرى
٧٤	١٥	حارج	خارج

ماذا في هذا الكتاب ؟

فيه ... من كل شيء !!

عـــن الصيام .. فرضا ..او تطوعا .. او مـــا يخطر على بالك !!

يترقرق .. الى قلبـك ... بإذن ربك ... عينـا فيها تسمى سلســـبيلا !!

فيـه ... اسـرار ..وانوار .. « الصيـام لي .. وانا اجزى به » !!!

دار المعرفة
ص. ب. ٥٧٦٩
بيروت ـ لبنان

الثمن : ٢٠٠ ق. ل. او ما يعادلها